المنهج الإسلامي السليم

www.abulhasanalinadwi.org

حقـــوق الطبـــع محفـــوظـــة

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

النـــاشـــر

مـــؤسســـة محمـــد الحسنـــى

الهنـــد

www.abulhasanalinadwi.org

المنهج الإسلامي السليم

السيد محمد الحسني

تقديم
أبي الحسن علي الحسني الندوي

الناشر
مؤسسة محمد الحسني
الهند

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

تقديم الكتاب

بقلم أبي الحسن علي الحسني الندوى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيد المرسلين وخاتم النبيين ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين .

وبعد فقد كان مما قدّر الله وقضى – ولا راد بقضائه وليس لنا إلا أن نرضى بما حكم وقدر – أن أقدم كتابات العزيز محمد الحسنى عليه رحمة الله ، وهو بمثابة ابنى ، وفلذة كبدى ، وقد نشأ تحت سمعى وبصرى ، وذلك بعد وفاته ، وكانت القرائن والآثار تدل على أنه سيقدم كتاباتى ويعلق عليها ويعنى بنشر آثارى ، ويسجل حوادث حياتي ويؤرخها ، كما جرت العادة وشهدت المقاييس الظاهرة بدور الأبناء فى تخليد آثار آبائهم وعمومتهم وأساتذتهم ومربيهم ، وقد كان من أقرب أبناء البيت وأحبهم إلىّ ، وألصقهم بي ، وأعرفهم بشئونى وأخبارى .

ولكن كانت القضية بالعكس ﴿**والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ ، فقد مات فى ريعان شبابه ، وقوسه موترة ، وفرسه مسرجة فى حلبة الكتابة ومضمار العمل الاسلامى ، فاضطررت الى أن أقدم كتابه « تناقض تحار فيه العيون وتطابق يسر به المؤمنون » وذلك على إثر وفاته فى ١٧ / من رجب سنة ١٣٩٩ هـ ، والكتاب من أقوى ما دبجه يراعه ، وأكثره صراحة ووضوحا ، ثم قدر لى أن أقدم له كتابا ثانيا ، وهو مجموع مقالات وأبحاث ، أسماه « العالم الاسلامى بين التبعية والذاتية » وأن أكتب حياته فى سطور ، وهأنذا أكتب تقديما لمجموعة مقالات أخرى ظهرت فى أعداد مختلفة لمجلة « البعث الإسلامى » التى

www.abulhasanalinadwi.org

كان برأس تحريرها ، تجمع فيها وحدة فكرية مبدئية ، وشعور نفسى عميق ، ودراسة شاملة أمينة لواقع الأمة الإسلامية ، وجماعاتها ومدارسها الفكرية ، ومناهجها العملية ، وما أوحى هذا الواقع وأملاه على صاحب هذه المقالات ، من إبداء مشاعر نحو هذا الواقع ، وملاحظات وآراء لتوجيهها توجيها سليما هادفا ، تتفق مع طبيعة الإسلام ، البعيدة عن شوائب الانحراف والتحريف ، والخضوع لعوامل طارئة ، وفلسفات دخيلة وتأثيرات أجنبية ، يمكن أن نسمى هذه المجموعة بـ « المنهج الإسلامى السليم » .

لقد قلت فى تقديم كتابه الأول « الإسلام الممتحن » الذى كان له دوى وصدى فى الأوساط الإسلامية الدعوية والفكرية ، بعد ماذكرت الظروف والملابسات الدقيقة والأحداث المتناقضة ، المثيرة التى عاشها وعاصرها .

« أحدثت هذه الجوانب المتناقضة – جانب تربيته ودراسته الإسلامية ، وجانب الواقع المرير المشاهد القاسى – صراعا فى نفسه ، حوّل قلمه إلى شلّال يتدفق بقوة ، وينحدر بقوة ، فصدرت هذه المقالات ، فى أسلوب قوى ملتهب ، هو نتيجة كل صراع نفسى ، رافقته قدرة بيانية ، وقلم سيال رشيق ، وثروة لغوية ، وهذا الأسلوب له قيمته فى إيقاظ الشعور ، وفى تحريك النفوس والعقول ، ومحاربة مركب النقص وإعادة الثقة بصلاحية الرسالة والأمة ، والاعتزاز بالقيم والمفاهيم ، خصوصا إذا كان مدعما بالدلائل والوثائق ، ومسلحا بالشواهد والتجارب ، وهى طليعة كل إصلاح وانقلاب ، ورائد كل نهضة وتقدم »[1] .

وقد عاش صاحب هذه المقالات بعد ذلك فترة قصيرة ، فترة أربع سنوات لم يفتر فيها عن مطالعة وتأمل ، وكتابة وتحرير ، وقد كان يطوى هذه الفترة القصيرة – فترة مليئة بالأحداث ، مثيرة للتفكير ، محركة للقريحة – مسافة أعوام

---

(١) تقديم كتاب الإسلام الممتحن ص ١٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

فى شهور ، ومسافة شهر فى أسابيع وأيام ، تزداد دراسته عمقا ، وعقله نضجا ، وآراؤه حصافة ، تجلى هذا التقدم فى النضج ، والاختمار فى الآراء والدراسات ، فى ما فاض به قلمه فى مقالات تجمعها هذه المجموعة الصغيرة ، وانا نعرض هنا بعض نماذج تدل على سداد رأيه ومتانة استنتاجه ، واصابته المحز ، وضربه على الوتر الحساس ، وتصويره البارع للحقيقة والواقع ، يقول فى مقالة عنوانها « جلينا الجديد فى حاجة الى ايمان جديد » .

أما اذا اعتقدنا أننا نستطيع محاربة الغرب بتعليمه وثقافته أو نستطيع أن نحاربه – فى تعبير أصح وأفصح – بمخلفات فلسفته وفتات أفكاره فذلك وهم وخيال ، وضرب من المحال ، إننا لا نستطيع أن نهجم على حضارة الغرب ونقاوم غزوه الفكرى وننتصر عليه بإذن الله ، إلا بالإيمان الذى أفلس فيه الغرب إفلاسا شائنا ، ذلك هو السلاح الوحيد ، السلاح الأكيد ، السلاح المضمون الذى نستطيع به تصحيح التاريخ ، وتغيير اتجاه الإنسانية ، وتحويل قياده من أيد خائنة أثيمة ، إلى أيد مؤمنة بريئة ، أحسنت قيادتها فى أحط الأدوار وأقسى الظروف ، وأرست سفينتها المتلاطمة بين الأمواج الثائرة والرياح العاتية على بر الأمان .

إننا لم نفرق بين الفلسفات والآلات ، ولم نميز بين الوسائط والغايات ، ولم نميز بين العلوم الطبيعية التى ظهر فيها العلم مجردا عن النزعات والعقيدة ، وبين العلوم العمرانية والفلسفات الاجتماعية التى سيطرت عليها نزعة الغرب المادية ، بل كان نصيبنا من ثقافته وأفكاره أكثر من نصيبنا من علمه وصناعاته .

فإذا شئنا أن نتحرر من عبودية الغرب الفكرية وتبعيته الثقافية فعلينا أن نستعرض مناهجنا التعليمية والتربوية استعراضا جديدا ، ونصوغها صوغا جديدا يعيد إلى جيلنا الجديد ، إيمانه المفقود بالله وثقته الضائعة بوعده ونصره ، وبرسالته وشخصيته ، ويجعله عونا على الحق ، حربا على الباطل ، مؤمناً بالله ، كافرا بكل ماعداه ، مستخفا بمظاهر المال والثراء ، والرعب والجاه ، وحينئذ يدرك نظامنا التعليمى والتربوى غايته ويحقق هدفه ، وينشأ الجيل الإسلامى الجديد الذى ليس حاجة البلاد الاسلامية فحسب بل حاجة الإنسانية كلها .

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول فى مقال عنوانه « فقـه وإيمـان » :

« إنه لابد للدعوة من إيمان راسخ قوى بالله والصلة به صلة دائمة ، صلة الحب والخوف ، صلة الدعاء والتضرع ، صلة الشكر والرجاء ، صلة التوكل واليقين ، صلة تجعل الإنسان يلتذ بأدنى نعمة يجدها ، ويخشى من أدنى سخط يشعر به ، ويستحضر مهانته وضآلته أمام عظمته وكبريائه ، ويرى نفسه عبدا بائسا مسكينا لله سبحانه ، ويدعوه دعاء من خضعت له رقبته ، وفاضت عبرته ، وذل جسمه ورغم له أنفه .

الدعوة الإسلامية ليست أفكارا ونظريات فحسب بل إنها تكيف الحياة على المنهاج النبوى ، تكييفها بحرارة الحب الإلهى والصلة به ، التفانى فى سبيله ، والجهاد لإعلاء كلمته بالمنهج والأرواح .

إن هذا الانسان يكيف أخلاق الإنسان وسلوكه وتفكيره ، ويؤثر فيه تأثيراً مدهشا حتى إن كل نظرة من نظراته وكل كلمة من كلماته لا تصدر إلا عن إخلاص عميق ، يشهد به كل من يجالسه ، حتى إن إشراق وجهه ينم عن قلب كبير تجرد عن ماسوى الله ، مجالسه تذكر الآخرة ، وأحاديثه تقوى الوازع الدينى ، وكلماته العادية تنشىء فى قلب الانسان رغبه عن الدنيا وإقبالا إلى الآخرة .

إن هذا الإيمان هو حاجة كل إنسان لأنه المستوى المطلوب عند الله بل هـو الشىء الوحيد المقصود عنده ، إن نقصان هذا الإيمان لا يعوض ، وفراغه لا يملأ بأصالة الذوق الأدبى ، والبراعة الفنية ، والأساليب الأدبية ولا بالاطلاع الواسع ، والخبرة الواسعة ، ولا بالنظم الدقيق ، والذكاء الخارق ، إنه شىء فوق هذا كله ، ولا يجبر نقصانه ولا يملأ فراغه إلا بالإيمان نفسه والبحث عنه بجد واجتهاد ، والحصول عليه مهما كلف ذلك من مشقة وعناء ومخالفة النفس والهوى .

ويقول فى مقال عنوانه « دور العاطفة والحب » :

www.abulhasanalinadwi.org

من أجل الوصول إلى هذه الأهداف لابد أن يكون فى كل بلد إسلامى عصبة موفقة « كشافة » تنشر الوعى ، وتبعث الإيمان ، وتجند القوى ، وتكون مركز اتصال ونقطة انطلاق ، تستكشف الأفراد الذين يحملون هذه الفكرة ويقدرون أهميتها وقيمتها ، وتجمعهم فى سلك واحد ثم تربيهم على هذه المعانى ، ويرسخ فيهم هذا الإيمان ، وتغذى القلب والعاطفة بجانب الشعور والوعى ، العاطفة التى تزيد من قوة الشعور وتخفف من عبء « العقل » وآلام الطريق ، وترفع عن الأفكار الهدامة والفلسفات السامة ، العاطفة التى تقوم على أساس السنة النبوية ، والشريعة الإسلامية ، وتعيش فى سياج منيع حدودها وخطوطها المحددة المعلومة ، هذا الاجتماع بين العاطفة والمبدأ ، والقلب والعقل ، والشعور والوجدان ، حاجة جيلنا الجديد ، وفراغ أساسى هائل لا يملأ إلا بهذا الاجتماع المتزن العادل .

ويقول فى مقال عنوانه « الغرب المتكبر والشرق المتنكر » :

« من لم يجعل الله له نورا فما له من نور »

إنه نتيجة الاستغناء عن نور النبوة وهداية السماء ، إنه نتيجة الحقد الذى يغلى به صدور الصليبيين الجدد فى الغرب على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونبوته الأخيرة الخالدة ، وعلى كتاب الله المقدس الأخير ، الذى ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » ،

إن المسيحية والصليبية لا تزالان تشكلان خطرا على الإسلام والمسلمين ، وتضمران الحقد لهما ، وتدبران المكر عليهما ، وهما صورتان لحقيقة واحدة ، حقيقة الكبر والحقد ، والتمويه والتضليل ، والفساد فى الأرض ، وجناحان لمعسكر واحد ، معسكر الكفر والضلال أو بتعبير أدق وأفصح ، معسكر المسيح الدجال .

فما لنا نحن المسلمين فى الشرق نرقص على نغمات هذه الصليبية الحاقدة ، ونتجاوب مع أصدقائها ونسبح بحمدها ، ونتفانى فى حبها ، ولا تمنعنا الذلة

www.abulhasanalinadwi.org

والإهانة التى لقيناها من معسكر أو كتلة أن نجرب حظنا فى معسكر آخر ، أو كتلة أخرى ، ونستبدل بعد عشر سنوات أو عشرين سنة سيدا قديما بسيد جديد ، واستعمارا قديما باستعمار جديد ، العبيد هم العبيد ، لا تغيير ولا تبديل .

وجيلنا الناشىء الجديد فى حاجة إلى مثل هذه الكتابات القوية الأصيلة فى الفكر لإعادة الثقة إلى نفسه بالعودة إلى دينه ، وكتابه الخالد ، وتعاليمه القائدة للأجيال البشرية على اختلاف الأزمنة والأمكنة ، وإعداد قيادة الركب البشرى والحسبة على العالم وتحمل مسئولية الوصاية على البشرية ، والاعتزاز بالدين ، والقيم والمثل التى دعا إليها ، وباعتبار نبى الإنسانية الأخير الخالد « خاتم الرسل ومنير السبل وإمام الكل » .

وهذا الكتاب الجديد يضيف إلى هذه المكتبة الإسلامية التى هى حاجة هذا الجيل المؤمن الواعى ، كتابا جديدا له قيمته ومكانته ، ويضيف إلى مكتبة الدعوة الإسلامية فى الهند التى كان صاحب هذه المقالات محمد الحسنى ركنا من أركانها الذى كان له دور كبير فعال فى تكوينها وإثرائها كتابا رابعا(١) ، أرجو أن ينال مكانته فى المكتبة الإسلامية الدعوية العربية العالمية .

رحم الله صاحب هذه المجموعة وجزاه خيرا عن الإسلام والمسلمين والدعاة المخلصين ، والكتّاب الإسلاميين ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

---

(١) بقى له كتابان : « مصر تتنفس » ، « إلى القيادة العالمية » للطبع .

www.abulhasanalinadwi.org

الـــــدعوة
مشـــكلاتها وأســـاليبها

إنّ الدعوة الإسلاميّة لها مشكلات ، أهمّ مشكلاتها ، الجمع بين مختلف طبقات الشعب والالتقاء معها على صعيد واحد ، ذلك لأنّ هذا الدين لا يختصّ بطبقة خاصّة تسمىّ رجال الدين . أو الكهنوت ، بل إنّه يعمّ الشعب المسلم بكافّة طبقاته وعناصره ، وفئاته ومستوياته ، إنّه دين العامل ودين التاجر ، ودين الفلّاح ودين الموظّف ، ودين الجاهل ودين المثقّف ، ودين الشباب ودين الكهول ، ودين الرجال ودين النساء ، وعنده لكل هذه الطبقات والعناصر تعليمات خاصّة ، وهو يخاطبهم جميعاً بلغتهم ، ويحرّك مشاعرهم ، ويقنع عقولهم ، ويلهب مواهبهم ، ويستفيد من طاقاتهم إلى أقصى حدود الاستفادة ، ثم يسير بهذه الطبقات كلّها يدًا بيدٍ نحو غايته الكبيرة .

تلك هى نظرة الإسلام إلى الطبقات ، ومعالجته لقضاياهم ومشكلاتهم بإيجاز واختصار ، فمن الطبيعى للدعوة أن تواجهها هذه الحالة وأن تعترض فى طريقها صعوبات من هذا النوع ، ويكون مقياس نجاح هذه الدعوات إلى حدّ كبير هو التغلّب على تلك الصعوبات ، وتقديم الفكرة الإسلاميّة والنظام الإسلامىّ تقديماً جيداً أمام هذه الطبقات على قدر عقولها ومواهبها ونفسيّتها وعقليّتها ، حتى تستسيغ فهمه وترحّب به ، وذلك ما شرحه سيّدنا على ابن أبى طالب بقولته المشهورة الخالدة « كلّموا الناس على قدر عقولهم ، أتريدون أن يكذّب الله ورسوله » .

إنّ الدعوة الإسلامية أينما كانت تجد نفسها أمام حقيقة كبيرة وواقع كبير لا مفرّ منه ، فهى لا تدرى من أين تستأنف السير ؟ ، وأىّ طبقة من الطبقات

www.abulhasanalinadwi.org

تختار حتى تركّز عليها جهودها ، فلا تلبث أن تؤثر من هذه الطبقات ما تجدها أقرب إلى نفسيّتها وذوقها ، فيقتصر فيها همّها وجهودها ، ثم تبدأ بالعمل من غير تصميم دقيق وتفكير سابق ، أو تعالجها بأسلوب واحد ، ومنهاج واحد ، أمّا الدعوة الشاملة الجامعة فهى لا ترى هذا الرأى ، ولا تسلك هذا المسلك ، إنّها تعتقد أن دعوتها عامّة لهذه الطبقات كلّها ، وأنّ هذا الدين دين الناس أجمعين فلا مبرّر إذاً من اقتصاره على طبقة دون طبقة ، إنّها تكوّن نفسها من جميع تلك الطبقات والعناصر ، وتدعو إلى المساهمة فيها الشباب والعلماء والصحفيين ، والتجّار والعاملين والمهندسين ، وأساتذة المعاهد والجامعات حتّى يفهموا مشكلات طبقتهم فهماً صحيحاً ثم يحلوها فى ضوء المبادىء الإسلاميّة التى تتعلّق بهم ، وتدور حول أوضاعهم الخاصة .

وإنّى أسمّى هنا بعض الطبقات المهمّة التى لها نفوذ وسلطان وتأثير على المجتمع :

١ – شباب الجامعات والمعاهد العليا وأساتذتها .

٢ – الموظفـــون .

٣ – التجـــــار .

٤ – الفتيات المثقفات ، أمهات الغد وأمهات الجيل الجديد .

٥ – العمّال والمهندســون .

إنّ نظرة واحدة على هذه القائمة الصغيرة تدلّنا على أن اللغة الواحدة والأسلوب الواحد لا يستطيع أن يقنع هذه الطبقات كلّها ، فأسلوب الدعوة فى المثقفين غير أسلوب الدعوة فى العاملين ، وأسلوب الدعوة فى التجار غير أسلوب الدعوة فى المثقفات ، وأسلوب الدعوة فى المسلمين الذين يحبّون الدين غير أسلوب الدعوة فى المسلمين الذين قطعوا صلتهم بالدين وتغيّرت عقليّتهم وثقافتهم البتّة ، وإن لم يتظاهروا به ولم يعلنوه ، وهكذا دواليك .

www.abulhasanalinadwi.org

خذ مثلاً الشباب المثقّف ، إن الشباب العصرى المثقّف كما تعلم مؤمن بفلسفة الغرب وأسلوبه فى التفكير ، مقتنع بنظريّته إلى الحياة والأشياء ، يعظّم فلاسفته ومفكّريه ويقدّسهم ، إنّ مثل هذا النوع من الشباب لا يصلح له أسلوب الدعوة فى عامة المسلمين ، إنّه فى حاجة إلى أبحاث مركزة وكتب علمية ذات مستوى عالٍ تنقض أساس هذا المذهب المادّى . وتزيل روعته وسلطانه من نفسه ، إنّه فى حاجة إلى سيل من هذه الكتب والمؤلّفات والدراسات ، والصحف والمجلّات ، لأنّ الكتب الصفراء لا تستطيع أن تؤثر فيه مطلقاً ، والخطب الرنّانة لا تستطيع أن تغيّر من وجهة نظره وعقليّته شيئا ، المهمّ أن تزول هيبة الحضارة العصريّة من نفسه ، وعلى الدعوة والداعى أن يستخدم لذلك جميع الوسائل والأسباب والأساليب الصحيحة التى توفى هذا الغرض .

وكذلك طلّاب المعاهد الدينيّة ، فطريقهم غير هذا الطريق ، وهو تربية نفوسهم ، وإعدادها لمحاربة النزغات الجاهلية الحديثة والأفكار الملحدة ، والاطلاع على الفلسفة الغربية والتفكير الغربى ، والأنظمة الاشتراكية الحديثة اطلاعاً كاملاً ، فبدون الاطلاع على هذه الفلسفات المادية فإنهم لا يستطيعون أن يحاربوها ويتغلبوا عليها ، ويكون شأنهم شأن من يطارد الأشباح ، ويبنى قصوراً وأبراجا فى الهواء .

كذلك العمّال والموظّفون ، فلهم مشكلات خاصّة ، ونحن لا نستطيع أن نأخذهم معنا بدون العطف على قضاياهم وتقديم حلول صحيحة لأزماتهم النفسيّة والاقتصاديّة التى يعانونها ؛ والنساء لهنّ قضايا ، ولهن أسئلة تدور حول أمور البيت وتربية الأولاد والحياة الزوجيّة ، ولا يمكن للدعوة فى أىّ حال من الأحوال أن تغفل شأن المرأة ، فللمرأة دور كبير فى تربية النشء الجديد ، وصلاح الأسرة ، وعليها واجب ضخم فى هذا المضمار لا تستطيع أن تؤديه إذا لم تجد منا مساعدة فعّالة وعنايةً وتشجيعاً .

إنّ صلة الدعوة بالحياة لا تستمر طويلاً إذا قطعت صلتها عن المجتمع .

هـــذه واحـــدة ....

www.abulhasanalinadwi.org

والكلمة التالية عن أساليب الدعوة أنى أعتقد أنه لا يصلح التفريق فى الأساليب ، فإنّ للدعوة أساليب كثيرة نختار منها مانراه مناسبا للوقت ، ملائما للمحيط الذى نعيش فيه ،

www.abulhasanalinadwi.org

إلى ملك مسلم كبير

إن هذا الكتاب ليس بخطاب سياسيّ أو رسميّ أو صحفيّ، خطاب يوجّهه الصحفيّون والأدباء إلى الساسة والزعماء، تملّقاً و اطراءً حيناً، وعداوةً وبغضاً بعض الأحيان، خطاب تمليه - عادة - المصالح والأغراض، وتحوم حوله الشبهات أو تفرضه التقاليد والعادات، إنما هو خطاب القلب المتحرق الجريح، إلى رجل أتاه الله مالاً وذكاءً ودهاءً وحبّاً لبلاده، واحتراماً لدينه ورزقه سمعة حسنة بين زملائه وأقرانه، وهو يستطيع - إذا وفّقه الله وعرف سبيله - أن يضع ما يتخطّى حدود القياس، و يستحق به إعجاب العالم كلّه و ثقة الإنسانية بأسرها، ويجري الله على يده خيراً كثيراً لا ينقطع، ومعيناً فائضاً لا ينضب وحسنات لا توزن بالميزان البشريّ، ولا تدرك بالعقل الرياضيّ، ولا يطّلع على سرّها كبار الساسة والعقلاء أو رجال الهندسة والإحصاء-

هذه المكانة المرموقة المشرّفة، الفريدة، الشاغرة، التي تنتظر منذ زمن طويل من يشغلها، و يعتزّ بها، ويشرّف بها نفسه وجيله، دفعتنا ان نسجل هذه الكلمة إشفاقا منّا على ضياع هذه المكانة وإهدار كرامتها، والاستهانة بقيمتها، والجحود بفضلها ونعمتها -

إنك أيها الملك تقف في هذا الوقت وقفة لن ينساها التاريخ فإذا أحسنت فيها حفظها لك كلمة باقية، و ثناءً عاطراً، و ذخراً للدنيا والآخرة، و إذا أسأت فيها لم يغفر لك هذه الجناية في حق أمّتك وفي حق الإنسانيّة، هذه الوقفة الحاسمة تحتاج إلى إخلاص و جراء ة وحزم، وتصميم وتعمّق في الموضوع ودراسة للأوضاع، وإطلاع على التجربة التاريخية في الإسلام عبر القرون، وعدم الاقتناع والرضى بالدون، و تغيير عام شامل في الموقف السياسي والتعليمي والتنظيميّ-

www.abulhasanalinadwi.org

والاجتماعيّ والصناعيّ والحربيّ ، إنّها تحتاج إلى تطهير الفكر ممّا علّق به من مخلّفات الحضارة الغربية وبقايا التفكير المادىّ ، وسموم القوميّة البغيضة ، وميكروبات التقليد الأعمى للبلاد التى كتب الله لها الويل والثبور فى الدنيا والآخرة ، وأمهلها فى الوسائل المادية ليسوقها بها إلى حتفها المحتوم ومصيرها المشئوم .

فيجب – أوّلاً – تحرير الفكر من سائر هذه المؤثرات الداخليّة والخارجيّة ، فهذه أولى شرائط هذا الطريق ، فإذا خلّصت نفسك – وأرجو أنك فعلت – من هذه العلائق ، وابتعدت عن جاذبيّتها ، صلحت لترشّح نفسك لهذا المنصب الخطير ، منصب القيادة والإمامة عامّة .

إن هذا المكان السامق وهذه الذروة العالية من قيادة العالم الإسلامى وقيادة البشرية كلّها بالتالى ليس بحلم من الأحلام أو وهم من الأوهام ، إنّه ليس ترنيمة الطفل أو أنشودة الشباب ، بل أنّه حقيقة حيّة شاخصة ، المسلمون مكلّفون بها ومسئولون عنها فى كل زمان ومكان .

وهى ذروة لا أرتضى لك أن تتنازل عنها وتقتنع بدونها ، وتقف فى صف الزعماء السياسيين المقلّدين ، المحترفين ، الذين عاشوا فى البرج العاجى ، ورضوا بما يتصدّق عليهم الغرب بين حين وحين ، إنّنا نرجو منك بطلاً عصاميّاً ، وقائداً منتظراً يعيد إلى هذه البلاد مكانتها فى الأرض ، وهى مكانة أنت أولى بمعرفتها ، هى مكانة التوجيه والإرشاد ، والهداية والإصلاح ، ومكانة القيادة والإدارة فى السياسة والاجتماع .

إنّنا نرجو منك أن تلعب مكة والمدينة شرفهما الله شبه ذلك الدور الذى لعبتاه فى القرون الأولى المشهود لها بالخير ، وأن تقودا الإنسانيّة مرة أخرى كما قادتاها فى عهدهما الزاهر الأول .

ولكنّ هذا البناء الجديد لا يقوم على أساس قديم أبدًا ، بل لا بدّ له من أساس آخر تلك الأسس التى بنيت عليها الجمهوريات « الاشتراكيّة والقوميّة

www.abulhasanalinadwi.org

الثوريّة الحديثة ، فضلّت وأضلّت ، وشوّهت ومسخت ، وحالت دون التفكير الصحيح والفكر السليم النقيّ .

هذا الأساس يستخدم فى أربعة مجالات :

- التربيّـــة
- الاقتصـــاد
- الصناعـــة
- القوّة الحربيّة

إن محاولة التطوير والإصلاح أو محاولة الإنهاض والإنعاش فى هذه الحقول والجبهات لا تكفى ولا تؤدىّ إلى الغرض المقصود بل يغيّر فيها الأساس برمته ، ويحلّ مكانه أساس جديد كل الجدّة ، طريف كل الطرافة ، له أبعاد غير أبعاد الأسس القديمة العتيقة المألوفة ، وسمات غير سماتها ، وتأثير غير تأثيرها .

المجـــال الأوّل :

هو سبك التربيّة سبكاً جديداً ، وهو الباب الرئيسى للبناء الجديد ، إذا فتحنا فتحنا الأبواب كلّها ، يجب أن تكون غايتنا من التعليم تكوين جيل قوىّ الإيمان ، قوىّ العقيدة ، أصيل التفكير ، واسع الاطلاع لا يجرفه تيار المادّة ، ولا تسحره طلاوة الغرب ، ولا يمكن الحصول على هذه الغاية السامية ، إلّا بوضع جهاز التربيّة على أساس جديد ، وتوجيهه بروح جديدة ، وصوغه صوغاً جديداً فى سائر حقوله وفروعه .

إنّك يا حارس الحرمين إذا فتحت هذا القفل المعقد الذى أعيا الولاة والحكام ، وأعيا زعماء الإصلاح ورجال السياسة فى كل بلد إسلامىّ ، قطعت الشطر الأوّل من هذا الطريق الطويل ، ووفيت بالشرط الأوّل لهذا المنهج السامق والذروة العالية .

www.abulhasanalinadwi.org

المجـــال الثانـي :

هو الاقتصاد ، وهو توزيع الثروة بين المواطنين توزيعاً عادلاً يقضى على التفاوت الطبقىّ ، على اختلاف المناطق ، والقبائل ، وأهل المدن ، وأهل البادية ، نزولاً على تعاليم الإسلام الحكيمة الخالدة «**تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم**» لا انسياقاً وراء الشعارات الزائفة ، أمثال الشيوعيّة والاشتراكيّة ، ووضع حدّ على هذه المآدب الفخمة ، والحفلات الضخمة ، والرحلات الباهظة النفقات ، وإغداق الأموال بسخاء فى السفارات ، وتشييد بنايات إثر بنايات ، والحرص على آخر ما أنتجته المصانع من السيّارات ، فكل ذلك يغدو ويروح ، ولا يبقى إلاّ جيلك وشعبك الذى يستطيع مقاومة الأحداث والتقلّبات ، ويقدر على حمل رسالته ونشر دعوته والاحتفاظ بشخصيته ، فى عصر التبس فيه الحق بالباطل ، واختلط الحابل بالنابل .

المجـــال الثالـث :

هو الصناعة ، وأرجو منك أن تنال هذه الناحية كل عنايتك واهتمامك ، فلا قيمة لبلد فى هذا العصر لا يملك صناعة ، وإنّك – نظراً إلى ذلك الدور الأساسىّ العالمىّ – فى حاجة إلى صناعات ثقيلة تتكفّل بحاجات بلادك ، بل تعود بفائض منها إلى البلاد الشقيقة .

المجـــال الرابع :

هو القوّة الحربيّة ، والمهمّ فى ذلك أن تمتاز قواتك عن سائر القوّات ، كما امتازت بلادك عن سائر البلاد ، وتحمل روحاً قويّة من الفداء ، والاعتماد على الله ، والوقوف مع الحق ومقاومة الباطل ، فذلك أقوى الأسلحة وأمضاها ، فضلاً عن الاستعداد الحربى ، وبناء أسطول حربىّ قوىّ ، وقوّة جويّة ضاربة ونحو ذلك ممّا لا يستغنى عنه أىّ بلد للحفاظ على حدوده وعلى وجوده .

www.abulhasanalinadwi.org

وبعد ، فهذه خطوط رئيسيّة لنهضة إسلامية شاملة تحلم بها الأمة الإسلامية على وجه الأرض منذ زمن بعيد ، فهل تستطيع يا جزيرة العرب أن تسعف الإنسانيّة البائسة ، كما أسعفتها من قبل ، وهل تمنحها قيادة جديدة فتية شابّة وتغيّر وجهتها من الشرّ إلى الخير ، كما منحتها قيادات شخصيّة كلما دعت إليها الحاجة واقتضتها الظروف .

إنّا نربأبك أيّها الملك المسلم أن تقف فى صفّ تلاميذ الغرب وحاشيته ، تأكل مما يأكلون ، وتشرب مما يشربون ، ولا نحبّ أن نرى منك – وقد منحك الله قلادة غالية – زعيماً سياسيًّا من زعماء الدرجة الأولى أو الثانية ، الذين لا ينظرون أبعد من المعدة والمادّة ، ولا يعرفون أكثر من الاشتراكيّة الإجباريّة ، بل نريد منك قائداً مثل صلاح الدين ، يعيد إلى المسلمين ما ضاع فى فلسطين .

وبعد ، فإنّى لم أقل شيئاً عن تلك الصحف الماجنة والمجلّات الملحدة ، وعن تلك الموجات من المنكرات التى تهرّب إلى هذه البلاد من مصر ولبنان ، فإنّها لا يقضى عليها أبداً بالأحكام الرسميّة ، بل بالموقف الإيجابى البنّاء .

فإمّا أن تحقّق آمال شعب محدودة فى الغذاء والكساء والدواء ، فيأكل ويشرب ، ويلهو ويتمتّع كالأمم الجاهليّة المعاصرة ، وإمّا أن تحقّق آمال العالم الإسلامى وآمال الإنسانية والأسرة البشريّة برمّتها ، وإما أن ترضى مجموعة خاصّة من أبناء جنسك وبنى قومك وإمّا أن تتحكّم فى قلوب ملايين الملايين من المسلمين فى مشارق الأرض ، ومغاربها ، يفدونك بمهجهم ، وأرواحهم ، وأنفسهم ، وأموالهم .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

من مرحلة الحرب إلى مرحلة البنـاء

بعد حرب رمضان دخلنا – بلا ريب – فى مرحلة جديدة ، وهى مرحلة البناء والتربية والتعبئة ، مرحلة العمل الدءوب الصامت والإنتاج السريع فى كافة الحقول الاجتماعية والاقتصادية والصناعية .

ولا ريب أيضا أن العرب اكتشفوا نفوسهم مرةً أخرى فى أعقاب هذه الحرب ، ووقفوا على خامات بشرية وطبيعية هائلة ، وثروة إنسانيّة كبيرة لا يعوزها غير قائد قوى أمين يستثمرها ، ويطورها وينفخ فى هذه الأحجار الآدمية والخامات الإنسانية والجمادات البشرية حياة جديدة بإذن الله .

﴿ أو من كان مَيْتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس ، كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾[1] .

والمهمّ فى ذلك كلّه هو التربية بمعناها الأعمّ الأوسع .

لقد وصلنا – والحمد لله – إلى مرحلة إيجابيّة ، وبقى أن نربّى عقولنا وأذهاننا ، ومشاعرنا على المثاليّة الإسلاميّة ، والمنهج الاسلامى والعاطفة الإسلاميّة ، وآياتها ، وإيمان مشرق ، واعتزاز بالدين ، وحبّ الله ورسوله ، وكراهية الكفر ، والفسوق والعصيان ، ومعرفة الجاهلية مهما تغيرت ألوانها وأزياؤها ، وتذوق الإسلام الحقيقى مهما أثير عليه الغبار ، وعبث به العابثون ، أو طغت عليه الأهواء ، والأغراض والمصالح ، وأصبح عرضة لتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ، ومؤامرة المغرضين ، أو تلكؤ المذبذبين .

إن التربية الفكرّية والعمليّة ، وتجسيد ما قررناه بالواقع الحىّ ، وتصديق الأقوال بالأعمال ، ومتابعة النية الصادقة بالعمل الثابت ، ضرورة حتميّة لا مفرّ منها لكل من وضع لبنة الأساس ، وأراد البناء ، أو أراد تطهير هذه الأمة عن

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

أوزارها ، وأغلالها ، وأرجاسها التى لصقت بها منذ زمن طويل .

والآن بعد أن انكشف الغطاء ، يجب أن نكون أكثر تيقّظاً ، وحذرًا ، وتضحيةً ، وشجاعةً ، وذكاء من الطبيعى المعتاد ، فالعدو بالمرصاد ، وهو يبتسم فى وجوهنا مكرًا ويخفى خنجره وراء ظهره خبثاً ، ووالله ما أخضعته المروءة والنبل ، وإنّما أخضعته الحاجة وألفاقة ، وكلما نال بغيته وقضى وطره عاد إلى سيرته الأولى .

ولنتذكر فى هذه الوقفة التاريخية التى تقفها الأمة موقف النبى ﷺ من أعدائه ، فنحن أحوج إلى دراسة هذه القصّة وفهمها ، والعمل بها فى الظروف الراهنة أكثر من أىّ وقت مضى

« روى ابن هشام : قال أبو عبيدة : وأخذ رسول الله ﷺ فى وجهه ذلك قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس وهو جدّ عبدالملك بن مروان أبو أمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزة الجمحى ، وكان رسول الله ﷺ [قد] أسره ببدر ثم منَّ عليه فقال يا رسول الله أقلنى : فقال رسول الله ﷺ : **« لا والله لا تمسح عارضيك بمكة (بعدهاو) تقول خدعت محمداً مرتين اضرب عنقه يا زبير ، فضرب عنقه »** قال ابن هشام : وبلغنى عن سعيد بن المسيّب أنّه قال : قال رسول الله ﷺ **«إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرّتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت »** فضرب عنقه[1] .

ولكى نواجه هذه الحقيقة القاسية التى لا ترضينا ، يجب أن تكون قلوبنا عامرة بالإيمان ، وعقولنا مزودة بالعلم ، وأذهاننا متحلية بالوعى ، ومشاعرنا ملتهبة بالعاطفة ، وأفكارنا مستنيرة بالدعوة ، وأيدينا مشغولة بالبناء والتعمير والإنتاج .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٥٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

وذلك لا يتأتّى بعصا سحرية أو ملحمة كلاميّة ، وعهدنا بهذه الملاحم الكلامية ليس ببعيد ، فحذار من أن ننزلق فى هذه المزالق مرّة أخرى .

إنها تحتاج كما قلنا إلى تربية وتعبئة ، تربية النفوس ، وتعبئة الكفاءات والقدرات ، فالنفوس الذكيّة الأبيّة والكفاءات المسخّرة لهدف واحد معلوم ، هى وحدها تستطيع أن تواجه الأخطار أيّاً كانت وأينما كانت ، لأنها تنظر بنور الله ، وذلك ما أشار إليه الحديث النبوى « **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله** »[1] ولأنه يسير على هدى من الله ، ومن يهده الله فلا مضلّ له .

هذه نقطة واحدة وهى تتعلّق بالشعوب المسلمة ، أما النقطة الثانية فهى تتعلّق بالقيادة ، فمسئوليتها ، بالطبع ، أضخم وأدقّ ، فعلى قادة الأمّة وزعمائها إذا صحّت نيّاتهم على عمل جدى نافع وتحويل بالأمّة من الضعة إلى الرفعة ومن الذلة والهوان إلى العزة وعلو الشأن ، أن يتزوّدوا بالوعى الكامل والشعور الناضج حتى لا يلدغوا من جحر مرّتين وحتى لا يمسح العدوّ عارضيه ويضحك ملء شدقيه ويقول خدعت فلاناً وفلاناً .

عليهم أن يقرنوا أقوالهم بأعمالهم قبل أن يطالبوا بها شعوبهم .

أن يبرهنوا على أخلاصهم بالبذل والتضحية وإيثار الآجل على العاجل ؟ والسهر على مصالح الإسلام والمسلمين قبل أن يكون ذلك حديثا إلى صحيفةٍ وخطاباً على منبرٍ .

يجب أن يكونوا القدوة فالناس على دين ملوكهم ، وهم على آثارهم مقتدون وإنّ مبادرة كريمة جريئة ، وخطوة عملية موفّقة ، وموقّفاً مشرّفاً من صاحب سلطة وجاه وحكم ومال ينفع فى أبناء الأمّة وشبابها أكثر من مواعظ العلماء ، ونصح الدعاة إلى الله وجهاد المخلصين والعاملين من الطبقة الوسطى ، ومن الذين لا يملكون الأمرَ والنهى ، والحول والطول أو قوّة التغيير والإصلاح فى

---

(١) رواه الترمذى فى التفسير .

www.abulhasanalinadwi.org

الدولة والشعب فإنّ الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

وبالتربية الإسلامية العامّة لكافة أبناء الأمّة ، وبهذه القدوة النبيلة الكريمة يستطيع العالم الإسلامى أن يعوض ما فاته عبر القرون أو مافاته بوجه التحديد بعد انحطاط آل عثمان وانسحابهم عن مسرح القيادة ، بثقة ذاتية ليس لها نظير ، وروح معنوية عاليةلا ينال منها ريب المنون ، روح لا تعبث بها يد الفناء ، لأنها اتصلت بالسماء ، واتصلت بالله فاطر السماوات والأرض .

إن الله يهب هذه الأمّة على جهدها القليل ، وتغيرها اليسير ، وإقبالها على الله ، وجهادها فى سبيل الله ما لا يهبها لأمم أخرى وشعوب أخرى تنكبت عن طريق الحق ، وعصت الله ورسوله ، رغم كفاحها الشاقّ المرير الطويل ، فالله تعالى يحب أن يرى أولياءه منصورين ، وأعداءه مقهورين ، ويرى كلمته عاليةً فى الأرض ، وشريعته جارية فى العبّاد

انظر إلى خبيب – رضى الله عنه – وقد رفعوه على الخشبة واسمعه كيف ينشد بلحن شجى ، لحن حبيب ، وهو يكشف هذه الحقيقة .

ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أىّ جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصالِ شلوٍ ممزع

أليست أمتنا شلوًا ممزّعا وثوبا ممزّقاً ؟؟

وهل هنا من يباركها ويلمّ شعثها ، ويجمع أطرافها ، ويجدّد حياتها وزينتها غير الله سبحانه وتعالى !

فلنأخذ فى هذه المسالك الوعرة والمضايق المظلمة والدروب المضنية الطويلة طريقا أيسر ، وأقصر وأقوم ، طريق الإيمان والقرآن ، و ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرًا** ﴾[1] .

---

(١) سورة الاسراء الآية ٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

جيلنا الجديد فى حاجة ماسة
إلى إيمان جديد

الدين خرافة ، الدين زىّ قديم لا يصلح لأبناء هذا العصر ، الدين مذهب فردى وسلوك شخصى لا دخل له ولا تأثير فى الأخلاق والحياة العامّة ، الدين يعادى المدنية والحضارة ، والعلوم والآداب ويدعو إلى الماضى ، بينما العلوم العصرية والمدنية الحديثة تتطلع إلى المستقبل ، وتستوحى نهضتها من صميم حياتها !

إن هذه الأفكار ومثلها تملأ أذهان كثير من شبابنا اليوم ، شبابنا الناهض المثقّف ، والذنب فى ذلك يرجع إلينا إذ لم نستطع أن نكون عقلية الجيل الجديد تكويناً إسلاميًا وننشئها على الإيمان بالله ، وحبّ الدين وإجلاله بل إننا جعلناها – بالعكس – عرضة للأخطار من كل جانب ، ولقمة سائغة لكل ناهب وغاصب .

إنّ تكوين العقلية وتربية الفكر شىء خطير يجب أن نحسب له كل حساب ، ونضعه فى رأس قائمة حاجات الأمة ، إن شبابنا يملك كل خير وصلاح ونحن نُسأل عنه يوم القيامة أمام الله .

الشىء الأوّل الذى يفرضه علينا الإسلام فى هذا المجال هو أن نربىّ جيلنا الجديد تربية تغرس فيه الإيمان بالله وحبه والاعتزاز بدينه ، ويهيمن هذا الشىء على سائر مراحل الدراسة من الثانوية إلى الجامعة وتعديل طفيف فى مناهج الدراسة أو إدخال بعض دروس توجيهيّة ومحاضرات يلقيها المدرس يومًا فى الأسبوع أو مرّة فى الشهر لا يكفى فى هذا المجال ، يجب علينا أن نعيد النظر فى جهازنا التعليمىّ والتربوىّ بأسره ، ونضعه فى صورة يغلب عليها هذا الطابع الجديد ، ويسرى فى جميع أجزائه ، ووسائله ، وأدواته ، لأن الإيمان بالله ليس مجرد كلام بسيط ليس له كبير معنى أو كبير تأثير بل إنّه غاية كل مسلم وهدفه الأوّل والأخير .

www.abulhasanalinadwi.org

إن الإيمان بالله هو الحدّ الفارق الذى يميّز الشعب المسلم الذى غايته الله عن شعوب العالم الأخرى التى غايتها المادّة والقوّة واللذّة ، إنّه يميّز سلوكه عن سلوكها ، وحياته عن حياتها ، وأغراضه عن أغراضها ، وطابعه عن طابعها ، وأساليبه عن أساليبها ، لأنه شعب ممتاز بعثه الله ليخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ويأخذ بيد الإنسانية المحتضرة ، ويرفعها عن حضيض المادة والشهوة إلى طلب الله سبحانه ، ويجعلها جديرة بحبه ورضوانه ، ويفطمها عن الملذّات المادّية الحقيرة لتذوق لذة الحب ، وحلاوة الإيمان وتعرف سر طلاوة الحياة الضائعة ، وطمأنينتها المفقودة ، رغم كل الوسائل الماديّة ، وأسباب الراحة والرخاء الموفورة .

وهذا الإيمان بالله يقتضى – طبعاً – ثورة فى تفكيرنا وتجديدًا فى مناهج الدراسة وأساليب التربية وأصول التعليم ، واتخاذ خطوات جريئة حاسمة لتطوير هذه المناهج تطويرًا لائقاً يؤدى إلى الغرض المقصود ويغير تلك المبادىء التى استوردناها من الغرب على حين غفلتنا بمبادىء أسمى وأفضل ، مبادىء الإسلام الذى آمنا به عقيدة ودستورًا ونظامًا ، حتى تكون هذه المناهج صالحة لأغراضنا يشب فيها أولادنا على حبّ الإسلام وما فيه من قيم وأقدار ، ومبادىء وتشريعات ومقت الفلسفات الماديّة ، فلسفات القوة والمادة واللذة والغلبة على الضعيف على اختلاف الأسماء والألوان والشعارات ، وكراهة الدعوات الفاجرة وما فيها من تفسخ وميوعة وانحلال وتجريح لكرامة الانسان ، وهبوطه عن المستوى اللائق به ، وإذا خاف بعض المخدوعين هنا وهناك أنها دعوة رجعية وخشوا أن تلتصق بهم هذه التهمة ، وتخجلهم فى مجمع الدول « المتقدمة » فعليهم أن يفتحوا عيونهم ، ويصغوا آذانهم ويعلموا أن تلك الحضارة التى نعجب بها ونفتخر بتقليدها فى الشرق حضارة مفلسة منهارة عند كثير من كبار المفكّرين والباحثين ، والاجتماعيين فى مركز هذه الحضارة ومهدها .

كتب عالم أمريكى كبير شغل منصب مدير علوم العمران فى جامعة هارفارد فى مقال له بعنوان SOCIAL AND CULTURUL DYNAMICS قال فيه :

www.abulhasanalinadwi.org

« إن العالم الجديد الذى ننتظره سيكون أسوأ حالاً من هذا العالم القلق المضطرب فإنه تتغيّر فيه القيم والموازين والاعتبارات تغييرًا كليًا ، حتى تحلّ ضخامة الأشياء وعددها وقدرها محل الجمال العاطفى ، ويحل « الجسيم » محلّ الجميل ، والأشياء السخيفة التى ترضى ذوق العامّة محلّ الفنّ الرفيع ، والظاهر الأجوف الخلاّب محلّ الأقدار الداخليّة ، واللباقة محلّ العبقرية ، والتقليد محلّ القوّة الخلاّقة ، والخبر المثير محل الحقيقة الثابتة ، والقوّة العملية الخارقة محلّ البصيرة السليمة النافذة ، الخ ...»

إنّ اللجوء إلى هذه السفينة الغارقة ، سفينة الغرب المحطّمة ، يغرقنا مع المغرقين ، فعلينا أن نهجر تبعية الغرب فى التفكير والتعليم والتربية ، ونضع مناهجها ومخطّطاتها بحرية حسب ما يملى علينا الإسلام وتفرضه علينا النتائج والمشاهدات التى لا مرية فيها .

إن الإيمان أساسنا ودعامتنا ، وسرّ قوتنا ، وكل تعليم وتربية تقوم على أساس غير أساسه تأتى معوجّة ، ولا تمنحنا قوة حقيقيّة لمواجهة الحقائق ، وقدرة على استعادة مكانتنا تحت الشمس ، وهى مكانة سامية يقول عنها القرآن ﴿ **كنتم خير أمّة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[1] .

أمّا إذا اعتقدنا أننا نستطيع محاربة الغرب بتعليمه وثقافته أو نستطيع أن نحاربه – فى تعبير أصح وأفصح – بمخلّفات فلسفته وفتات أفكاره وذلك وهم وخيال ، وضرب من المحال ، إننا لا نستطيع أن نهجم على حضارة الغرب ونقاوم غزو الفكرى وننتصر عليه بإذن الله إلا بالإيمان الذى أفلس فيه الغرب إفلاساً شائناً وذلك هو السلاح الوحيد ، السلاح الأكيد ، السلاح المضمون الذى نستطيع به تصحيح التاريخ ، وتغيير اتّجاه الإنسانيّة وتحويل قيادتها من أيد خائنة

---

(١) آل عمران الآية ١١٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

أثيمة ، إلى أيد مؤمنة بريئة ، أحسنت قيادتها فى أحطّ الأدوار وأقسى الظروف ، وأرست سفينتها المتلاطمة – بين الأمواج الثائرة والرياح العاتية – على برّ الأمان .

كان كلّ ذلك بفضل الإيمان ، الإيمان بالله والإيمان بوعده ونصره ، والإيمان برسالته ، إنّنا لا نحتاج إلى أن نستورد هذا الإيمان من الخارج ، ولكنّنا نحتاج بلاشك أن نخلصه من ركام الأفكار الغربيّة والعلوم العمرانيّة الغربية التى حشدناها فى نظامنا التعليمى والتربوى من غير أن نميّز الخبث من الطيّب والضارّ من النافع ، بل أخذناها صورة طبق الأصل كما أخذنا العلوم الطبيعيّة التطبيقيّة ، أو كما أخذنا الآلات والماكينات .

إنّنا لم نفرّق بين الفلسفات والآلات ، ولم نميّز بين الوسائط والغايات ، ولم نميّز بين العلوم الطبيعيّة التى ظهر فيها العلم مجرّدًا من النزعات والعقيدة ، وبين العلوم العمرانية والفلسفات الاجتماعيّة التى سيطرت عليها نزعة الغرب المادّية ، بل كان نصيبنا من ثقافته وأفكاره أكثر من نصيبنا من علمه وصناعاته

فإن شئنا أن نتحرر من عبودية الغرب الفكرية وتبعيته الثقافية ، فعلينا أن نستعرض مناهجنا التعليمية والتربوية استعراضاً جديداً ونصوغها صوغاً جديداً يعيد إلى جيلنا إيمانه المفقود بالله وثقته الضائعة بوعده ونصره ، وبرسالته وشخصيته ، ويجعله عونا على الحق ، حربا على الباطل مؤمناً بالله ، كافراً بكل ما عداه مستخفا بمظاهر المال والثراء والرعب والجاه ، وحينئذ يدرك نظامنا التعليمى والتربوى غايته ويحقق هدفه ، وينشىء الجيل الإسلامىّ الجديد الذى ليس حاجة البلاد الإسلامية وحسب بل حاجة الانسانية كلّها .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

فقـــه وإيمـــان

فقه وإيمان هما أساسان للدعوة إلى الله فى كل زمان ومكان ، وحاجة الدعاة فى كل عصر وجيل ، والاكتفاء بواحد منهما دون الآخر قد يسبّب فتورًا فى الدعوة وخللاً فيها وانحرافاً فى سيرها على الدرب المستقيم .

الدعوة إلى الله بدون فقه ومن غير بصيرة ، والاكتفاء بالأسلوب الحماسى أو العاطفى ، فحسب ، وصرف النظر عن الفكر والشعور والعقل أسلوب لا يقبله الإسلام ولا تستسيغه الطبيعة ، وتنكره التجربة الإنسانية عبر القرون ، قال الله تعالى على لسان رسوله ﷺ ﴿ **قل هذه سبيلى ، أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى** ﴾ وقال فى موضع آخر ﴿ **والذين إذا ذكّروا بآيات ربّهم لم يخرّوا عليها صمًّا وعميانا** ﴾[٢] .

وهكذا الدعوة إلى الله من غير إيمان ومن غير عاطفة ، ومن غير يقين وقر فى القلب ، وخالطه اللحم والعظم والدم ، وتملك المشاعر والعواطف دعوة لا روح فيها ولا حياة ، ولا قيمة لها ولا اعتبار .

﴿ **والذين آمنوا أشد حباً لله**[٣] / **واذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا**[٤] / **لعلك باخع نفسك على آثارهم** ﴾[٥] .

إنّه لابدّ للدعوة منّ إيمان راسخ قوى بالله والصلة ، صلة دائمة صلة الحبّ والخوف ، صلة الدعاء والتضرع ، صلة الشكر والرجاء ، صلة التوكل واليقين ،

---

(١) يوسف الآية ١٠٨ (٢) الفرقان ٧٣

(٣) البقرة الآية ٦٥ .

(٤) الاحزاب الآية ٤١ .

(٥) سورة الكهف الآية ٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

صلة تجعل الإنسان يلتذّ بأدنى نعمة يجدها ، ويخشى من أدنى سخط يشعر به ، ويستحضر مهانته وضآلته أمام عظمته وكبريائه ، ويرى نفسه عبدًا بائساً مسكينا لله سبحانه ، ويدعوه « دعاء من خضعت له رقبته . وفاضت له عبرته ، وذلّ له جسمه ، ورغم له أنفه »[1] .

هذا هو المقياس الصحيح للمسلم ومستواه اللائق به ، وهذا هو الإيمان الذى يمس قلب الإنسان فيحول نظام حياته تحويلا كاملاً ، ويخلق منه إنسانا آخر لا عهد لنا به من قبل ، إنسانا جديداً فى عواطفه ، جديداً فى تفكيره ، جديداً فى نشاطه .

الدعوة الإسلاميّة ليست أفكاراً ونظريات فحسب بل إنها تكييف للحياة على المنهاج النبوى ، تكييفها بحرارة الحبّ الإلهى والصلة به ، والتفانى فى سبيله والجهاد لإعلاء كلمته بالمهج والأرواح .

إنّ هذا الإخلاص والإيمان والحبّ هو جوهر الحياة ، وحياة الدعوة ، إنه لا اعتبار هنا للمؤلفات مهما كثرت وللخطب مهما نقمت ، وللدراسات مهما أبدعت ، ولا اعتبار هنا للقوة السياسيّة والتنظيم العلمى وتعبئة الطاقات ، بل إنّما الاعتبار بالإخلاص وصلة المرء بالله سبحانه ، والجمع بين هذا وذاك هو غاية ما يصبو إليه الإنسان وأسمى ما يهدف إليه الإسلام .

إنّ هذا الإيمان يكيّف أخلاق الإنسان وسلوكه وتفكيره ويؤثر فيه تأثيراً مدهشا حتى إن كل نظرة من نظراته وكل كلمة من كلماته لا تصدر إلّا عن إخلاص عميق ، يشهد به كل من يجالسه ، حتى إنّ إشراق وجهه ينم عن قلب كبير تجرد عما سوى الله ، مجالسه تذكر الآخرة ، وأحاديثه تقوى الوازع الدينى ، وكلماته العادية تنشىء فى قلب الإنسان رغبة عن الدنيا وإقبالًا إلى الآخرة ، وحياته كلها تشهد أنه تجرد عن الأنانية وحبّ الجاه ، وأقبل على الآخرة

---

(١) من دعاء النبى ﷺ

www.abulhasanalinadwi.org

إقبالاً كليًا ، وتملك زمام شهوته ونزعاته ، والدليل على كمال إيمانه أن هذا الإيمان تقع أشعته على قلب المرء كما تقع أشعة الشمس على جسده ، إننا ندفأ به ونشعر بحرارته ، كما نشعر بحرارة المدفأة ونحن ندخل حجرتنا فى أيام البرد ، إنّ صمته يفيدنا بعض الأحيان أكثر من كلام غيره ، وأحاديثه تفوق خطب الآخرين ومواعظهم فى التأثير ، وحضور ساعة عنده يشحن بطارية القلب وينشىء فى الانسان قوة التغلب على قوى الشر وأهواء النفس ونزوات الجسد .

فما هو السرّ فى ذلك ؟

إنّه ليس عملاً تنويميًا ، ولا عصا سحرية ، كلّا ، بل إنّه الإيمان الذى يخالط بشاشة القلب واليقين الذى لا تزعزعه العواصف ، والاتصال بالله سبحانه ، والشوق إلى لقائه والخشية من سخطه وعقابه ، ومشاهدة قدرته ورحمته بالبصر والبصيرة ، هذا هو الجوهر الذى له قيمته عند الله تعالى ، أما ما سواه فهو صور وأشكال . وفنّ وفلسفة ، وترف فكرىّ ، وعمل أدبى ، وأهواء فى النفس ،

إن هذا الإيمان هو حاجة كل مسلم لأنه المستوى المطلوب عند الله بل هو الشيء الوحيد المقصود عنده ، إن نقصان هذا الإيمان لا يعوض وفراغه لا يملأ بأصالة الذوق الأدبى ، والبراعة الفنية ، والأساليب الأدبيّة ولا بالاطلاع الواسع ، والخبرة الواسعة ولا بالنظم الدقيق والذكاء الخارق ، إنّه شيء فوق هذا كلّه ، ولا يجبر نقصانه ولا يملأ فراغه إلّا بالإيمان نفسه والبحث عنه بجدّ واجتهاد والحصول عليه مهما كلّف ذلك من مشقة وعناء ، ومخالفة النفس والهوى ،

الدعوة الإسلاميّة مبنية على دعامتين قويتين هما الفقه والإيمان فلا تقنعوا بواحد منهما دون الآخر ، واعرفوا قيمة ذلك الإيمان وحاجتنا إليه ، واعرفوا خصائصه ومعجزاته .

إن الحرص على الجمع بين الإيمان والفقه هو الناحية المهملة فى العالم الإسلامىّ والشعور بضرورة الوصول إلى هذا المستوى من الإيمان ، شعورلا يحمله الآن إلّا قليل من الناس .

www.abulhasanalinadwi.org

هذا هو المنهاج النبوى للدعوة وهذه هى الحياة الإسلاميّة والفكرة الإسلاميّة بمعناها الأصحّ ، وهو منهاج مغمور مفقود فى هذا العصر يستحقّ كل عنايتنا واهتمامنا ، وكل جهودنا وتضحياتنا ﴿ **قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾[1] .

* *

(١) سورة يوسف الآية ١٠٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

من أساليب الحكم والسياسة
إلى أساليب الدعوة والهداية

الدولة(STATE) فى الإسلام وسيلة لإحياء القيم الإسلاميّة ، والعبادات الإسلاميّة ، والشعائر الدينيّة ، والسنن النبويّة ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وليست غاية بذاتها ، تدلّ ذلك الآية التالية دلالة واضحة .

﴿ **الذين إن مكنّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتووا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور** ﴾[1] وقد دخل فى حيّز الآية وإطارها الواسع النظام التعبّدى ، والنظام الاقتصادى ، والنظام القضائى ، والتشريع الجنائى ، وكل ما تستحسنه الفطرة السليمة ، من أدب ، وجمال ، وذوق ، ونظافة ، وطهارة ، وزينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، فالأصل فى الإسلام الإباحة إلاّ ما حرّمه الشارع .

إنّ قيام الدولة الإسلاميّة مطلوب ومنشود ولازم للحياة الإسلاميّة والمجتمع الإسلامىّ من جهة واحدة خطيرة ، وهى أنّ النظام المالى والنظام التشريعى ، لا ينفذ برمته وبحذافيره – بطبيعة الحال – إلاّ فى ظلّ دولة تحكم بالشرع الإسلامىّ ، ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** ﴾[2] .

ولكنها ليست الدورة الأخيرة أو نهاية المطاف فى مسيرة المجتمع الإسلامى أو فى مسيرة الدعوة الإسلاميّة ، إنّها بالعكس من ذلك بداية طيبة ، وشكل مأمون مضمون بعض الأحيان ، لإحياء الدعوة الإسلامية بمعناها الواسع العميق ، وإقامة مجتمع الصلاة والزكاة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

---

(١) سورة الحج الآية ٤١ .

(٢) المائدة الآية ٤٨ .

www.abulhasanalinadwi.org

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾[1] .

ويضغط القرآن أخيراً على نقطة هامة .. فيردف الآية بجملة ﴿ ولله عاقبة الأمور ﴾ لكيلا ننسى هدفنا الأخير وغايتنا الأسمى ، فى أىّ حال من الأحوال ، وأن لا تلهينا الصور والأشكال عن الحقيقة واللبّ ، والثمرة والمحصول فالعبرة بالخواتم ، وبالنيات الحسنة ، وبقبول الله سبحانه ورضاه .

﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾[2] .

وهذا مقام لا تنال منه هزيمة ، ولا ينقص من شأنه انكسار واندحار ، وإخفاق الجهود .

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصالِ شلوٍ ممزع

ولم يكن الجهاد وقيام حكم الاسلام بالتالى فى عهد رسول الله ﷺ وصحباته رضى الله عنهم ، إلاّ تمهيد الطريق للدعوة الإسلامية أو للدين الحقّ ، ولم تكن الدعوة متجهة إلى انشاء دولة كشرط أساسى للإيمان أو كمرحلة نهائية أخيرة ، أو نقطة النضج والاكتمال لمد الدعوة ورصيد الدعوة فى كل حال من الأحوال .

فيكون الترتيب الإسلامى الأصيل على النحو الآتى :

الجهاد لإعلاء كلمة الله للجهاد ، والزحف إلى الأمام . والتمكين فى الأرض لإقامة مجتمع الصلاة والزكاة ، وإجراء شريعة الله فى عباده وبلاده ، أو فى تعبير

---

(١) الاعراف الآية ٩٦ .

(٢) القصص الآية ٨٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

آخر ، لتحقيق مطالب الدعوة الإسلامية وليست الدعوة الإسلاميّة والصلاة والزكاة وسائر الأحكام للتمكين فى الأرض .

إن حكم الإسلام ضرورى من ناحيتين .. سواء من جهة الوسيلة والأداة أو كجائزة من الله سبحانه بناء على كرمه ونتيجة على جهد المؤمن وجهاده وحسن بلائه فى الإسلام – كما قلنا – تدلّ عليه الآيتان التاليتان :

﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض ﴾
﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾[1] ونحو ذلك من الآيات ، أو كمرحلة نهائية ، وغاية منشودة ، كما يقول البعض ، ولكن المهمّ هنا هو الترتيب والمحافظة على التوازن الدقيق المطلوب بين الدولة الإسلاميّة وبين الدعوة الإسلاميّة ، وبين الغاية والوسيلة ، وبين الأسلوب والغرض والجوهر والروح .

فإما أن نقول : إن الصلاة مثلا خير وسيلة إلى إقامة دولة إسلاميّة ، وإمّا أن نقول : إن الدولة الإسلاميّة خير وسيلة إلى إقامة الصلاة . أو فى تعبير آخر : إقامة مجتمع الصلاة ونحوه .

انظر ماهو الفارق الدقيق بين الاتجاهين وبين المنهجين ؟

فى الاتجاه الأول يركن الإنسان سائر قواه ومواهبه على انشاء دولة مع الاعتراف بضرورة الصلاة كوسيلة من وسائل الدعوة الإسلاميّة ، ولكنّه لا يتحمّس لها ولغيرها من العبادات والسنن ومختلف جوانب الخلق الإسلامى النبيل الذى عبّر عنه رسول الله ﷺ فقال : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** »[2] ولم يقل إنما بعثت لأنشىء إمارة الإسلام أو خلافة الإسلام ،

---

(١) سورة الاعراف الآية ٩٦ .

(٢) جاء فى البخارى فى كتاب الإيمان .

www.abulhasanalinadwi.org

وقال : « **أدّبنى ربىّ فأحسن تأديبى** » ولا ذنب على أصحاب هذا الاتّجاه ، فالإنسان مفطور على حبّ هدفه الأخير ، ومقره النهائى ، فإذا جعل الدولة نصب عينيه سعى لها سعيها ، وبذل لها كل ما فى وسعه ، بل تهاون فى بعض أركان الدين ، بعض الأحيان ، واستخدم ما لا يقبله الإسلام من وسائل « ملوّثة » حرصاً على تحقيق هدفه الكبير ، وهو يتذرّع بحجة أنه سيصلح ما فسد ، ويرم ما انثلم ، ويعوض عما فاته فى هذا الوقت عندما تسلم اليه مقاليد الحكم ، ويكون بيده الأمر والنهى ، والحول والطول ، وهيهات ، فهو – أعنى صاحب هذا الاتجاه – إمّا أن يخسر الجولة ويظلّ فى متاهة الحيرة واليأس ، وإمّا أن يصل بعد طول انتظار ، وعناء شاق وصعود وهبوط ، إلى جزء من جوانب الحكم ، أو نوع من المشاركة فيه ، وقد فقد كثيراً من رأس ماله الذى جاء عنه « **كذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب** » .

وقد يتدرّج الأمر فى النهاية إلى قوم يستغلون الدين للفوز بالحكم ، فتنطلق الحناجر بهتاف « الله أكبر » والجهاد فى سبيل الله ، وتضحيات تقوم بها شعوب مؤمنة بريئة ، كما حدث فى باكستان ، وتركيا ، والجزائر ، وفى مصر عن إعلان الثورة وظهور أبطال الثورة بمظهر الموالين للدين ، والموالين للإخوان المسلمين الذين كانوا – ومازالوا – رمز الدين .. ولكنها طبقة لا نريدها ، ولا نوجه إليها هذا الخطاب ، إنما المراد أصحاب هذا الاتّجاه الذين التبس عليهم الأمر ، ولم يحافظوا على التوازن الصحيح بين الأمرين .

أما الاتّجاه الثانى ، فهو أن الدولة الإسلامية مطلوبة ، ومرغوب فيها ، لأنها خير وسيلة إلى مجتمع الصلاة والزكاة ، والطهر والعفاف ، والصدق مع الله ، والاخلاص لدين الله ، وتنفيذ شريعة الله ، ولولا هذه الناحية ما كان لها عند الله وزن .

www.abulhasanalinadwi.org

أصحاب الاتجاه الثانى ينسحبون عن بلاد مفتوحة ، بعد أن أراقوا دماءهم ، وقدموا فى المعركة خيرة شبابهم وأبطالهم ، بمجرد أنهم لم يراعوا عند الغزو آداب الشرع الإسلامى ، وفاتهم التوجيه النبوى .. أما أصحاب الاتجاه الأول فهم يتذرّعون بألف حجة ودليل ، وتعليل وتأويل ، من أجل « الحفاظ » على الدولة الإسلاميّة ، ولو كان « على حساب » روح الدعوة الإسلاميّة ، وأسس الدولة الإسلاميّة .

﴿ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ﴾[1] .

لقد فتح الإمام السيد أحمد بن عرفان (م ١٣٤٦ هـ) « بشاور » بعد أن قطع المسافات الهائلة ، وطوى الصحارى القاحلة ، والمسالك الوعرة ، والمضايق الجبليّة الخطرة ، وتحمّل صعوبات لا تتصور ، ودخل هذا البلد غازياً بعد أن دفع ضريبة الحياة الفادحة ، ثم تركها ولم ير مبررًا فى أن يبقى جاثماً على هذا البلد ، وقد أطاعه أهله ، وبايعوا على يده ، وتابوا إلى الله ، ووعدوا بتنفيذ شريعة الله ، والتحكيم بما أنزل الله .. ثم ظهرت منهم خيانة ، وكان ما كان[2] .

وما سقت هذه الحكاية إلاّ لأضع أمامكم هذا الفارق الدقيق ، بين اتجاهين ، وهى نتيجة طبيعية لذلك الطراز من التربية والذوق والثقافة ، والميول والأشواق ، والحوافز والدوافع ، والشجرة لاتلام على ثمرتها .

هذا الفارق الذى قد لا يبدو هاماً ودقيقاً وفاصلاً بين خطين ، فى أنظار بعض المثقفين ، يأتى بتحويلات جذرية عميقة ، وتغييرات نفسية عقلية تكيّف الحياة الفرديّة والاجتماعيّة والسياسية ، والشئون الحربيّة ، والعلاقات الدوليّة ،

---

(١) سورة النساء الآية ٩٤ .

(٢) انظر القصة بطولها فى كتاب « إذا هبت ريح الإيمان » لسماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، طبع دار القلم ، الكويت .

www.abulhasanalinadwi.org

تكييفا كاملاً ، ويخلق مجموعة بشرية صالحة تختلف عن المجموعات الإنسانية الأخرى ، والمجتمعات الدولية المعاصرة ، بل عن شقيقاتها وأخواتها ، كل الاختلاف وما ذلك إلاّ لذلك التغير فى ترتيب الأمور ، ووضعها فى محلها ، ومعرفة حجمها الصحيح ، والمحافظة على توازنها الدقيق .

الحكم الإسلامىّ هو حاجة الوقت ، ونداء الساعة ، وفراغ يجب أن يملأ فى أوّل فرصة ، وقد كان غيابه مصدر قلاقل واضطرابات وثورات ، وهزائم ونكبات ، وقد كان غيابه سبب ضياع شطر كبير من أحكام الإسلام ، وذهاب شوكة الإسلام وسلطانه عن القلوب وتأثيره فى النفوس .

ولكن يجب أن لا ننسى أن حكم الإسلام ليس إلاّ شعلة وهّاجة من ومضات الإيمان والسكينة ، والصبر والاستقامة ، والجهاد والتضحية ، والإخلاص والحبّ ، والخشية والإنابة ، والدعاء والتضرع ، فى المجتمع الرّبانى المؤمن .

إنّه سياج منيع وسور واسع كبير للمحافظة على الحياة الإسلاميّة بكل ما فيها من عبادات ، وطاعات ، وقربات عند الله ، مهما كان لونها ونوعها ، فإذا ذهبت هذه العبادات والطاعات ، أو بعبارة أصحّ وأوجز : ذهب التقرب إلى الله واتباع سنة رسول الله ، والجهاد الخالص لإعلاء كلمة الله ، أو انزوى وانكمش وعاش على الهامش ، أو بقى فى رفوف المكتبات وعلى ألسنة الخطباء ، وأقلام الفلاسفة والأدباء وعلى منبر الجوامع ، أو صالة المؤتمرات فحسب ، وصار حكم الإسلام مجرد الفلسفة الإسلاميّة ، أو النظرية الإسلاميّة السياسية والاقتصاديّة ، وصرنا نقيس الأمور بحجمها وروائها وبهائها ، وعددها وعدّتها ، لا بعاقبتها ، ولا بمقياس الإصلاح لله ، والوفاء بأصالة الدين ، أصالة المنهج والطريق ، والغاية والوسيلة ، والثبات على جادة الحق والتمسك بسنن الإسلام ، وشعائره وخصائصه ، وذهب اللبّ أو ضعف وبقى القشر ، أو تضخّم ، وضعفت تلك الدوافع والمقومات وذبلت ولقى السياج المنيع ، والسور الكبير ، وصار العيش بلا قوائم ، والحكم بلا طاعة ، أو وازع من الضمير ، ودافع من الإيمان ، وامتثال

www.abulhasanalinadwi.org

أمر الله ايماناً واحتسابا ، ذهبت كل هذه المجهودات الجبارة والتضحيات الجسام ، وحسن بلاء فى الدعوة والجهاد ، هباءً منثوراً ، أو لم تؤت على أقلّ تقدير ثمرتها الشهية المرجوّة ، وخابت آمال كثيرة ، وصار ذلك حجة للذين ينكرون فضل الشرع الإسلامى وصلاحيته على الذين يدعون إليه ، ويتفانون فى سبيله ، ويضحون له بكل رخيص وغال .

ولعلّ ذلك هو المراد من قول المشرف العام للإخوان حين قال :

« أقيموا دولة القرآن فى صدوركم تقم على أرضكم » .

وليس المراد منه أبدًا – كحقيقة بديهية – أن نترك الجهاد لإعلاء كلمة الله ، وإنما المراد أن لا يبقى مجرّد الجهاد والاستعداد ، وتذهب كلمة الله ، وهى كلمة الحق والإخلاص والرضا ، ويعود حكم اللاإسلام ، ويتضاءل روح الإسلام والإيمان ، ويتحمس الدعاة إلى الله للأساليب السياسية ، ولشئون التصميم والبناء وتغيير مناهج الحكم ، أكثر ما يتحمّسون لصور الإيمان والاحتساب والعبادة والذكر ، والصبر والشكر والزهد والقناعة ، والدعاء والإنابة ، وبإقامة الحياة الإسلامية الصحيحة الجميلة فى عائلتنا ، وفى أبنائنا وبناتنا ، وفى نفوسنا .

وإذا قيل لهم أن يعنوا بالفرد الصالح ، وبالأسرة الصالحة ، قالوا : أو ليس كل هذه الأسباب والوسائل فى سبيل الاسلام ، وإذا قيل لهم أن يعنوا بالوحدة ، فمن غير وحدة صالحة لا يصلح البناء ، قالوا : نحن نهتمّ بالمجموعة ، والمجموعة الأولى ، وإذا قيل لهم إن اللبنة الفاسدة لا تصلح للبناء ، ولو تكدست بعضها على بعض ، وصارت كالأهرام ، قالوا : إنها مماطلة ، وقعود ، ودعوة إلى التزمت ، وفرار من المسئوليات أما نحن فندعو – ونحمد الله على هذا التوفيق – إلى الجمع بين منهجين والمواصلة بين محاولتين ، مع المحافظة على التوازن المطلوب بين جهات مختلفة ومع التمسك الشديد بشعائر الإسلام وآدابه والتمسك بهدى النبى ﷺ ومنهجه وطريقه ، من غير تأخير عملية لعملية ، وتأجيل إنشاء دولة لبناء فرد ، أو تأجيل بناء فرد لإنشاء دولة ، ومن غير تأجيل إعداد مناخ طيّب لتطبيق

www.abulhasanalinadwi.org

الشريعة ، أو تأجيل تطبيق الشريعة فى انتظار مناخ صالح ، فإنّهما يسيران جنباً إلى جنب ، يشد بعضه بعضاً ، ويأتى بعضه على إثر بعض ، وقديماً قيل .

« الدين أصل والسلطان حارس به ومالا أصل له فهو معدوم ومالا حارس له فهو ضائع »

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الآخـرة واقع لا مفر منـه
لا ضرورة اجتماعيـة ، ومصلحة عمرانيـة

إن أكبر سؤال يواجه الإنسان ويشغل ذهنه وعقله ، وقلبه ، ويستولى على أعصابه وتفكيره ومشاعره هو ما يكون مصيره بعد الموت ، وهل هنا حياة أخرى بعد هذه الحياة ، وعالم جديد بعد هذا العالم ، وإذا كان فما هو موقفه إزاء هذا العالم وهذه الحياة ؟

إنه أكبر سؤال لكل إنسان ، وتأخير لحظة فى الردّ عليه ردّاً صحيحاً واضحاً محدداً قد يؤدى به إلى الهلاك إذ لا تأمين لحياته ولا ضمان لبقائه فى هذا العالم . ﴿ **إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾[1] .

فيجب أن يأخذ هذا السؤال أكبر قسط من وقتنا ، وأكبر نصيب من تفكيرنا ونشاطنا ، فلا لذة فى هذه الحياة ، ولا قيمة لهذه الدنيا ، ولا معنى فى كل هذه الجهود والنشاطات ، والمواهب والطاقات ، إذا تبعت هذه الحياة القصيرة الأجل حياة طويلة خالدة كلها جحيم ، وردف هذا العالم الفانى الصغير عالم أبدى كبير ، كلّه آلام وأحزان وعذاب ، فليكن موقفنا نحو هذا الأمر ، موقف واضح صريح لا غموض فيه ولا التواء ولا تفلسف فيه ولا تعقيد ، فإن نجاحنا وإخفاقنا وسعادتنا وشقاءنا يتوقّف على صحة هذا الموقف وتطوير حياتنا فى هذا الضوء .

الآخرة واقع لا مفر منه لا ضرورة اجتماعية ومصلحة عمرانية

إنّ الإيمان بالآخرة كضرورة اجتماعية ، ومصلحة عمرانيّة ، أو الإيمان بها كالمرحلة الأخيرة من الارتقاء الإنسانى لا يمثّل الإسلام تمثيلاً صحيحاً ولا يتّفق مع

---

(١) يونس الآية ٤٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

طبيعته ودعوته ومبادئه وذلك لأمرين مهمّين ،

أوّلا : إنّ هذه النظريّة أو هذا الأسلوب من التفكير لا يقدر على أن يحدث فى الإنسان الخوف والإشفاق على مستقبله ومصيره ، ولا ينشىء فيه خشية الله ، الخشية المطلوبة فى القرآن .

ثانيا : إنّه لا ينشىء فيه نوازع الحبّ والشوق نحو الآخرة ، والحنين إلى رضى الله سبحانه وإلى جنّته ورحمته ، ذلك الحنين ، والشوق الذى هو آية كبيرة من آيات الإيمان وكمال الإسلام والذى كان يغمر الرسول ﷺ والصحابة من بعده ، ويتجلّى فى كل شأن من شئون حياتهم .

إن أوّل شيء يطلبه الإسلام فى هذه الناحية هو أن ندرك تمام الإدراك أنه لا قيمة لهذه الحياة الدنيا ولهذه الحياة غير أنها قنطرة إلى عالم حقيقىّ آخر ، وطريق يوصلنا إلى الله سبحانه إذا صحت نيتنا ، وحسن قصدنا وقوى إيماننا ، وأن الآخرة هى التى تمنح الدنيا قيمة واعتباراً فينبغى أن تكون علاقتنا بها علاقة نسبية ، وعلاقة محدودة وهى أن نأخذ منها نصيبنا ، ونتمتّع بالطيّبات التى أحلّت لنا ، ونستخدمها لآخرتنا ، وذلك ما يشير إليه الحديث الشريف « **الدنيا مزرعة الآخرة** » .

عيشـــة الغريب

وهنا حديث آخر يشير إلى موقف المسلم نحو دنياه وآخرته فيصوّر أروع تصوير ، ويصفه أبلغ وصف وهو حديث « **كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**[1] ، **ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها** »[2] .

---

(١) رواه البخارى فى الرقاق .

(٢) رواه الترمذى فى الزهد وقال حديث حسن صحيح .

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام يطلب منا أن نعيش فى هذا العالم عيشة الغريب الذى لا يفكّر فى شىء أكثر ممّا يفكّر فى الوصول إلى غايته المنشودة ، ولا يبالى بمشقّة السفر أو راحته كثيرًا ، إنّه يأخذ من الزاد ما يقيم به أوده ويحافظ به على قوّته ، ثمّ يطير إلى بغيته طيران الحمام الزاجل لا يلوى على شىء ، إنّه يطلب منا أن نخاف الآخرة ونحبها ، نخشى منها ونحنّ اليها ، نخشى من عذابها وجحيمها ونحنّ إلى جنتها ونعيمها ، فإنّ الخوف يمنعنا من المنكرات والسيّآت والحبّ يدفعنا على العمل الصالح والمسابقة فى الخيرات ، وكلّما تزداد هذه العمليّة ، نتقرّب إلى الله ، ونترفّع عن حضيض الأرض ، ويتجلّى لنا سخف المادّة وفناؤها ، وسموّ الروح وخلودها .

إن هذه الروح الجديدة تجعلنا نحتقر الدنيا وما فيها ، ونستخفّ بمظاهر المال والجاه والفن والأدب لأننا نعرف مصيره ونعرف نتيجته ونعرف مضاره إذ تجرّد عن الإيمان والعقيدة وفكرة الآخرة .

إنّ موقفنا نحو الدنيا والآخرة يقتضى أن نغيّر وجهة نظرنا عن الموت والحياة تغييرًا كليًّا ونشاهد فى العالم الواقع – لا فى عالم الخيال – أنّ هذه الدنيا خلقت للإنسان ، وهى وسيلة وأداة فحسب ولا يجوز لنا أن نحبها حباً مستقلًا بذاتها ، بل إنما نستخدمها ونتمتّع بها كوسيلة توصلنا إلى الغاية ، وهى الاستعداد لليوم الآخر والوصول إلى الله .

وهل رأيت أحدًا يبنى له بيتاً فخماً فى محطّة ويعدّ فيها أثاثاً فاخراً ليلهو به ويتمتّع ، وهل رأيت رجلا يقيم متجراً على الرصيف وهو يعلم أنه مسافر بعد ساعة أو بعد ساعات ، وهل رأيت عابر سبيل استظل تحت شجرة فطاب له المقام فأقام ، ونسى الوطن والأهل والدار ، كلاّ ، هذا هو مثل الدنيا تماماً ، غير أنّنا بدأنا نستحى اليوم أن نقدمها أمام الناس على حقيقتها ونعرضها كما يعرض القرآن ، إن القرآن يشبّه الدنيا بالحطام الفانى ، وبالسراب الخادع وبمتاع غرور ، ومثل ذلك كثير ، فهل هذا مجرد وصف أدبى يستهدف الترهيب وإنشاء الوازع الدينى لا صلة له بالحقيقة والواقع ، كلاّ ، بل إنّه واقع ثابت ، شاخص حىٌّ ،

www.abulhasanalinadwi.org

مثل واقعنا المادىّ فى هذا العالم ﴿ **وإنّه لحق مثل ما أنكم تنطقون** ﴾[1] وهو يدعونا إلى أن نكون واقعيين ، ونعتبر هذه الحياة فرصة وحيدة غالية للجدّ والاجتهاد والاستعداد .

العاقـل من يوازن بين خسارته وربحـه

إن العاقل من يوازن بين خسارته وربحه ، ويبتغى ما فيه نفعه وفائدته ولا يخاف فى ذلك لومة لائم ، ولا يبالى بسخريّة الذين فى قلوبهم مرض ، والسفيه من يخشى الناس ولا يخشى الله ، ويبتغى المتعة الرخيصة واللّذة العابرة ، والشهرة الكاذبة ، وينسى لقاء ربّه واليوم الآخر حتى لا يقال أنّه « رجعـى » أو « متزمت » أو « درويش » إن القرآن يشير إلى هذه الحقيقة إذ يقول ﴿ **فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون ، هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون** ﴾[2] ويقول فى موضع آخر ﴿ **إن تسخروا منا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون** ﴾[3] .

إنّنا إذا قارنا بين الدنيا والآخرة مقارنة رجل عاقل منصف تجلّى لنا أن هذه الدنيا وما فيها ذرّة حقيرة تائهة إلى جانب العالم الروحىّ الكبير الذى لا يعلم مداه ولا يعلم تفاصيله إلّا الله ، وهى لا تساوى جناح بعوضة عند الله تعالى كما جاء فى الحديث الشريف ، وأن هذا العمر القصير الذى ناله الإنسان ليس إلّا دقائق وثوان مقابل تلك الحياة الخالدة التى يصفها القرآن ﴿ **ولا يذوقون فيها الموت إلّا الموتة الأولى** ﴾[4] وأنّ هذا النعيم والرخاء الذى نعدّه آخر ما وصل اليه النبوغ البشرى ، والذكاء الإنسانى ، وآخر ما أنتجته القرائح البشرية والوسائل المادية حلم من الأحلام أمام ذلك النعيم المقيم الذى يجده الإنسان فى حياة

---

(١) الذاريات الآية ٢٣ .
(٢) سورة المطففين الآية ٣٥ .
(٣) سورة هود الآية ٣٨ .
(٤) سورة الدخان الآية ٥٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

الآخرة ، يقول القرآن : ﴿ **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون** ﴾[1] ويصفه الحديث فيقول « **فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** »[2] وأنّ آلام هذه الحياة ومصائبها نعمة وراحة أمام عذاب الآخرة الذى يصوّر القرآن بعض نواحيه فيقول ﴿ **خذوه فغلّوه ، ثم الجحيم صلّوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ، إنّه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحضّ على طعام المسكين ، فليس له اليوم هاهنا حميم ، ولا طعام إلاّ من غسلين لا يأكله إلاّ الخاطئون** ﴾[3] .

ألا يجدر بالإنسان العاقل بعد هذا أن يكرس سائر جهوده وقواه على شيء واحد ، وهو نيل رضا الله فى الدنيا والآخرة ، وابتغاء وجهه فى كل عمل ، وأن يكون أكبر همّه الآخرة . ويتّسم حياته كلها بهذا الطابع حتى يعرفه الناس ويتأثّروا بأخلاقه وكرمه ، وعفّته ونزاهته ، ومروءته وشهامته ، وصموده أمام الباطل ، وخضوعه واستسلامه للحقّ ، وحبّه الخالص لله تعالى ، وحنينه إلى الجنّة ، وخشيته من عذاب النار وعذاب القبر ، ونجواته وصلواته فى الليل ، وكفاحه وجهاده فى النهار ، واستخفافه بالمظاهر الجوفاء وأبهة الملوك والأمراء والأغنياء ، وقلقه واضطرابه على مصيرهم وعاقبتهم .

ذلك هو العاقل الذى عرف ربحه وخسارته ، ونفعه وضرره ، وعرف سر الحياة ، وسر الوجود ، وغاية خلق الإنسان وخلق العالم وتجلت له العظمة الإلهيّة وذاق لذّة الإيمان ، ولذّة الحبّ ، ولذّة المعرفة ولذّة الصلة بالله ، وهى لذّة لا لذّة بعدها ولا قبلها .

الإشفاق على زينة الدنيا

وربمّا يقول القائل إن هذه النظرة إلى الموت والحياة وهذه العقيدة عن الجنّة والنار وهذا الموقف نحو الدنيا والآخرة يسدّ التيار الفكرى ، ويغلق أبواب المعرفة

---

(١) سورة الزخرف الآية ٧١ . (٢) رواه البخارى ومسلم . (٣) سورة الحاقة الآية ٣٠ – ٣٧

www.abulhasanalinadwi.org

والعلم والعمل أمام الإنسان ، وينقص من شغفه بهذه الحياة وعنايته بهذه الدنيا فتصبح خراباً يباباً .

وجوابى على هؤلاء أن هذا الموقف لا ينقص القوّة الفكريّة والعمليّة فى الإنسان ولا يقلّل من نشاطه وطموحه بل أنّه يحول اتجاه هذا النشاط والطموح من الشر إلى الخير ومن المادّة إلى الروح ، ويمنحه هدفاً أسمى ليركز عليه مواهبه وقواه ويبذل له مساعيه وجهوده وتلك العهود الإسلامية الزاهرة التى ازدهر فيها العلم والمعرفة ونفقت سوقها مع أنّ المسلمين فى ذلك الزمان كانوا أقوى ايماناً بالآخرة وأشد حباً لله وشوقا إلى الجنّة من مسلمى اليوم ، حجّة بالغة وبرهان ساطع على ذلك .

إنّ الإيمان بالآخرة يدفع الإنسان على النضال والمثابرة والكفاح للدعوة إلى الله ، والإيمان بالآخرة ، والسعى الدائب المتواصل لهداية العالم كلّه ، والحرص الشديد على انقاذ الإنسانية من التردّى والهلاك ، إنه يستخدم فى هذا السبيل كل ما فى أيدى البشر من وسائل ويضحىّ له بنفسه وماله وكلّ ما يملك ، إنّ هذا الإيمان يحبب إليه الموت ، ويكره إليه الحياة ، إنّه يعيش فى هذا العالم بجسمه ووجوده ، وقلبه وروحه مع الله ، أكبر همّه أن ينقذ نفسه وينقذ الآخرين من هول يوم القيامة وخزية عذابه ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم** ﴾[1] .

مساكين :

أنّ المشفقين على زينة هذه الدنيا غارقون فى الأحلام ، إنّهم مساكين لا يعرفون حقيقة الموت وحقيقة هذه الحياة ، ولو أنهم أدركوا حقيقتها وكشفها الله عليهم لرأوا أنّهم فى سبيل « انتحار اجتماعى عام » ، انتحار طويل لا ينتهى أمده بنهاية هذه الحياة بل يتجاوزها إلى عصور وأحقاب لا يعلمها إلاّ الله ﴿ **وذلك هو الخسران المبين** ﴾

www.abulhasanalinadwi.org

إنّ هذه الحقيقة تتطلب منّا أن نجعل الآخرة أكبر همنا والنقطة الأساسيّة فى جهودنا وكفاحنا ، والطابع الأصيل الوحيد فى حياتنا ، والسمة البارزة المتميّزة فى سلوكنا ، ونعلم أنّ الموت هو الجسر الذى يوصل الحبيب بالحبيب ، وأنّ الدنيا دار عمل ، ودار محن ، ودار كفاح ، والآخرة هى دار القرار .

يقول شاعر الإسلام محمد إقبال وهو يصف المؤمن الكامل الصادق (إن إمامك الأعظم وقائدك الراشد من يكره إليك الموجود والحاضر ، ويريك وجه الحبيب فى مرآة الموت فيثقل عليك الحياة وينغص لك العيش) .

إنّها صورة صادقة للمؤمن المثالى ، المؤمن الكامل ، المؤمن الذى يعيش فى هذه الدنيا ، قلبه معلّق بالآخرة ، ولا يزال يذكرها ويحنّ اليها ، ويبدو من جميع حركاته وتصرفاته ، وجهوده ونشاطه وسلوكه فى هذه الحياة أنّه يشاهدها بعين القلب والروح ، وينتظر اليوم الذى يلاقى فيه ربّه وينال جائزته ، وذلك هو وصف المؤمن الكامل الذى يطلبه القرآن ، وذلك هو الإنسان المفقود الذى تحنّ إليه الإنسانية ، وهو بركة الدنيا وزينة الأرض وجمال الوجود وغاية خلق العالم .

فهل نحاول من الآن أن نكون ذلك الإنسان ؟!

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الإســـلام نظام متكامـــل

الإسلام – كما نعلم ونعتقد – وحدة لا تتجزأ ، ولكن هذه الوحدة تشمل فى الوقت ذاته وجهات مختلفة وتحتوى على وجوه وألوان وأنواع من النظم والمعاملات والتشريعات تجتمع وتتحد فى أصلها وروحها وجوهرها وتلتقى على نقطة واحدة وهدف واحد .

فالإسلام عبادة فىالمسجدوكفاح فى المجتمع ، وجهاد فى الميدان ، وهو إيمان فى ناحية ، تشريع فى ناحية أخرى ، عاطفة فى مكان ، وتفكير وتدبر فى مكان آخر ، فيه الصلاة ، وفيه الزكاة ، وفيه الحجّ ، وفيه الصدقة ، وفيه البرّ والإحسان ، وفيه التضحية والإيثار ، والاستقامة والثبات ، وفيه الدعوة إلى الله ، والنضال فى سبيله ، وهو دين الفرد ، ودين الجماعة ، ودين الدولة والمجتمع ، وله فى كل ذلك أحكام وتشريعات يتضمّن لجميع هذه النواحى النجاح والازدهار ، والاستقرار ولكن هل هذه النواحى غايات مستقلة بذاتها ، وهل هذه النظم ، والتشريعات قائمة بنفسها ؟ كلاّ ، إن كل هذه النواحى تنبع من أصل واحد وتدلّ على رمز واحد ذلك هو رمز الإسلام والإيمان ، والطاعة والانقياد .

ومثل الإسلام فى ذلك كمثل جنة عالية واسعة ذات أزهار وثمار ينتقل فيها الرجل من جميل إلى أجمل ومن حسن إلى أحسن ، يأخذ بلبّه كل زهرة جميلة ، وتلفت أنظاره كل وردة عطرة ، وتغريه كل روضة من روضات هذه الجنة الواسعة وتبهره بجمالها وروعتها وبهائها ، ولكنه يعلم أن هذا الجمال جزء صغير من ذلك الجمال المحيط وناحية واحدة من نواحيه الكثيرة ، ولون واحد من ألوانه الزاهية .

كذلك شأن الإسلام ، فكل ركن من أركانه ، وكل تشريع من تشريعاته يرمز إلى وحدة شاملة تحيط بجميع أجزائها .

يعيش فيه الفرد فى استقرار وسلام ووئام « **المسلم من سلم المسلمون من**

www.abulhasanalinadwi.org

لسانه ويده »[1] وتعيش فيه الأسرة فى غاية من الطمأنينة والاستقرار « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[2] ويعيش فيه المجتمع عيشة أخوية متحابة صافية لاغبار عليها ، طاهرة لا دنس فيها لا تترعرع فيه السيئات ولا تزدهر فيه المنكرات « من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه »[3] « ومن أحبّ لله فقد استكمل الإيمان » « انصر أخاك ظالماً كان أو مظلوماً » .

وهكذا يبنى الإسلام صرحاً شامخاً بديعاً كل لبنة فيه وضعت فى محل كأنها خلقت له ، وينشىء نظاماً شاملاً كاملاً يتكفّل حاجات الإنسان ومطالبه ومرافقه فى كل موطن من الحياة ، وكل منعرج من التاريخ ، ويعطيه نوراً يمشى به فى الناس ﴿ أفمن جعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾

إن الإسلام أيها السادة دين إلهى أنزله الله على عباده لينالوا رضا الله بالسلوك عليه والاستمساك بعروته الوثقى ، ولذلك هو معصوم من هذه الأخطاء التى تقع فيها النظريات الإنسانيّة والمذاهب الماديّة بين حين وحين ، إن الله سبحانه وتعالى خالق هذا الإنسان وهذا الكون ، وهو عارف بماضيه وحاضره ومستقبله ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ ﴿ وأنه بكل شىء عليم ﴾

إنّ أكبر ميزة يمتاز بها الإسلام عن الأديان ، والمذاهب المادية جميعاً هو أنه ائتلاف فى اختلاف ، ووحدة فى افتراق ، ونظام كامل شامل لجميع نواحى الحياة صغيرها وكبيرها ، وعنده نظام لكل طبقة من طبقات المجتمع رجالاً ونساءً ، وشيوخا وشبانا وأمّيين ، ومثقّفين ، وأغنياء ومساكين كل امرىء يجد فيه

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى كتاب الإيمان .

(٢) رواه البخارى فى النكاح ومسلم فى الإمارة .

(٣) رواه مسلم فى الإيمان .

www.abulhasanalinadwi.org

ما يروى به غلّته ، ويشفى به علّته ، ويحلّ به مشكلته ، وينوّر به قلبه وحياته ، ويحظى برضى الله سبحانه .

وحادث واحد من التاريخ الإسلامىّ يلقى الضوء على هذا الواقع ، ويشرحه شرحاً كاملاً .

« أنّ ناساً قالوا يا رسول الله : ذهب أهل الدثور بالأجور يصلّون كما نصلّى ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم قال أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به : إن بكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة وفى بضع أحدكم صدقة قالوا : يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر »[1] .

إن هذا الحادث الواحد يدلّنا على أن الإسلام نظام فريد فى نوعه . نظام لم يسبق له مثيل فى التاريخ ، إنّه نظام روحىّ فهو متجاوب مع أشواق الإنسان الروحيّة ويملأ فراغه المعنوى ونظام إنسانىّ يقيم العلاقات الإنسانيّة على أسس روحيّة متينة تحفظ المجتمع من الزلل والانحراف ، والزيغ والضلال ، والفرقة والانشقاق والعداوة والبغضاء ، بل إنه مودة ورحمة وتعاطف وإخاء ، وسلام ووئام ، ووحدة شمل ، وجمع كلمة ، ونظام اقتصادى نظيف ، لا يفرق بين الغنى والصعلوك ، والمالك والمملوك ويتخذ تدابير وتعليمات حتى لايكتنز المال فى يد شخص واحد أو طبقة خاصة ، ولا يقيس الناس بمقياس الثروة والترف ، والمال والجاه ، بل أن ينظر إلى الإيمان والعمل الصالح **« إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم وانما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »**[1] **﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾** وإنه نظام سياسى لا يسمح لحزب خاص أو لعصبة من الناس أن يتصرفوا فى أموال الشعب حسب أهوائهم ، بل إن الأمر فيه شورى ، ولاة الحكم خلفاء الله

---

(١) رواه مسلم .

www.abulhasanalinadwi.org

فى الأرض ، والأمناء على الناس ، والجمهور فيه جمهور قوىّ الأخلاق ، قوىّ الإرادة قوى الأعمال ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، ويكون شعاره « **لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق** » و « **أطيعوا ولو ولىّ عليكم عبد حبشى** » فالعبرة بالنيّة وعمل الخير لا باللون ، والجنس ، ولا بالعصبيات العمياء ، والنعرات الجاهلية .

هذا هو الإسلام الصحيح ، وهذا هو الإسلام الكامل ، وتلك هى وحدة الإسلام الجوهريّة وروحه الأصيلة التى تتجلّى فى كل فرع من فروعه ، وكل تشريعات من تشريعاته ، وفى كل ناحية من نواحيه .

عالم برئ نظيف من اصطدام المصالح والأهواء ، وحبّ الاستعلاء ، ومجتمع صالح خاشع ، لا انحراف فيه ولا اضطراب ولا ضغائن فيه ولا أحقاد ، ولا تمرد فيه ولا اعتداء ، كل يؤدى واجبه وينسى حقّه ، ويحاول بكل ما يملك من حول وطول ، أن ينفع إخوانه الآخرين ، ومجتمع هذا شأنه لا يجد السوء اليه سبيلاً ولا يجد الشيطان فيه أرضاً صالحةً لغرس المنكر والفحشاء ، ولا يمكن للمنكرات والسيئات والأمراض الخلقيّة والمعنوية أن تعيش فيه طويلاً ، لأن هذه الأمراض لا تجد نافذة للدخول لأنّ الإسلام – حارس هذا المجتمع – لم يترك ناحية ولم تفته ثغرة يتسلّل بها الشيطان وأعوانه فى هذا المجتمع النظيف الصالح ويبذروا فيه بذور الفتنة والفساد والسيئات والمنكرات والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

حاجتك الأولى ، هل تعرفها ؟

إنّ ما تفتقر إليه الدعوة الإسلاميّة اليوم ، ويشكو من فقدانه المفكّرون والدعاة وزعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، هو الإخلاص وسلامة الصدر ، فقد يكون الرجل ذكيًا وقد يكون عالماً أو خطيباً ولا يكون مخلصاً وإنما يكون طالب شهرة وطالب منصب ، وقد يكون صاحب تأثير قوى وكلمة مسموعة ، أفاد منه عدد كثير من الناس ، وتغيّرت حياتهم وذاقوا لذّة الإيمان عن طريقه ولكنّه هو بنفسه لم ينقذ نفسه من الهلاك وإنما كان عمله رياء ، أو عادة ، أو طمعاً فى مجد أو حرصاً على شهرة ، وقد صفقت له الجماهير فى هذه الدنيا ، وانهالت عليه الصحف بالثناء الوافر ، وأكبّ عليه الناس من كل حدب وصوب ، ورأوا فيه مثلا عالياً يحتذَى به ، ولكنه رجع من كل ذلك صِفر اليدين وكان ممن يصدق عليهم قوله تعالى : ﴿ **الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب** ﴾ .

فالمحافظة على الإخلاص هى أهم نقطة فى الحياة الإسلامية وذلك يحتاج إلى سدّ تلك الثغرات الخفية التى يتسرب منها الفساد ، ويهدّد الإخلاص ، ولعلّ أهم هذه الثغرات هو إعجاب المرء بعمله والإعجاب بشخصيته ، فإن قطرة واحدة من هذه القذارة تكفى لتنغيص بحر من الخيرات والحسنات والفضائل والأخلاق ، وحسن بلاء فى الدعوة وسابق رصيد فى الجهاد .

إن الإعجاب بالنفس يتسرّب فى نفس الإنسان كما يتسرب الماء إلى الجذور ، أو كما تسرى الصهباء فى العروق ، أو كما يسرى الكرى فى العيون ، فلا يطلع عليه المرء إلا بعد أن يتمكن منه ويتحكم عليه ، فلا يستطيع أن يتخلص منه إلاّ بفضل الله ورحمته ، لا بجهده وعزمه ، وإن كان الواجب عليه أن يجتهد ولا يدّخر وسعاً فى إقصائه ومحاربته والتّغلب عليه .

وهنا يجب أن نفرق بين الاعتداد والإعجاب بالنفس ، فالاعتداد بالنفس

www.abulhasanalinadwi.org

ومعرفتها محمود به ، وجاء فى الحديث الشريف ، « **من عرف نفسه فقد عرف ربّه** » وجاء فى القرآن الكريم ﴿ **بل الإنسان على نفسه بصيرة** ﴾ وجاء فى موضع آخر ، ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدّث** ﴾ . وقال الشاعر العربى :

ونفسك أكرمها فإنك إن تهن عليك فلن تلقى من الناس مكرما

أما الإعجاب بالنفس فإنه يخلو من الشكر لله تعالى ، ومن الموعظة والاعتبار ، ويظنّ الإنسان أنّه نال كل هذه الفضيلة بكسب يده ، وفى ذلك يقول القرآن على لسان قارون ﴿ **إنما أوتيته على علم عندى** ﴾[٤] .

إنّ الله تعالى يريد منّا أن تكون أعمالنا خالصة له مطهّرة من شوائب النفاق والكبر والأنانية والشهرة والشهوة ، ذلك معنى الحديث الشريف ، « **لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به** »

وأهم ما تزل فيه الأقدام وتزول فيه الجبال الراسيات ، هو ما عبّر عنه القرآن بخيانة الأعين وما تخفى الصدور ، فالأعين تخون وتجد لها مرتعا خصباً ومنظراً جميلاً فى كل مكان ، والقلب يتمنّى ويعيش بالأحلام والأوهام ، من حيث لا يدرى أحد ، والإنسان يظنّ أنه فى عمل دينى خالص لا تشوبه الدنيا .

إنه لا عبرة بكثرة الأتباع ، وكثرة الإنتاج ، وسعة الاطلاع ، ووفرة الوسائل والأسباب ، بل إنما العبرة بصلة الداعى بربّه وإخلاصه له فى قوله وعمله ، وظاهره وباطنه ، وفى الرضا والغضب ، واليأس والرجاء ، والمنحة والمحنة ، فإذا صحت نيته وحسن قصده وعمر مابينه وبين ربّه وصل إلى شاطىء النجاة بأمان ، وحق له أن ينشد بلسان المقال ولسان الحال .

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب
إذا صحّ منك الودّ فالكل هيّن وكلّ الذى فوق التراب تراب

www.abulhasanalinadwi.org

إنما الاعتبار هناك بالنيّة لا بمجرّد العمل ، وهذا هو المراد من قول النبى ﷺ « **نية المؤمن خير من عمله** » فإذا صلحت النيّة ولم يقدر المؤمن على انجازها وتحقيقها لبعض الملحوقات ولبعض الأعذار ، نال ثواب هذه النيّة عند الله بلا مراء .. بخلاف العمل الذى يستهلّه خالصاً لله فيشوبه فى الطريق أكدار .. وتخالطه سمعة ورياء ، وإعجاب بالنفس أو نوع من التواكل والعجز والكسل ، بخلاف النيّة الخالصة المخلصة فمظانّ هذه الهواجس والخطرات ، والشوائب والشبهات فيها أقلّ ، وقد ورد عن النبىّ ﷺ أنّه قال « **إنّ بالمدينة رجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلاّ كانوا معكم ، قالوا : وهم بالمدينة ، قال وهم بالمدينة ، حبسهم العذر** »[1] .

فهذا أهمّ ما فى الأمر وأشدّ ما نفتقر إليه فى أوضاعنا الحاضرة ، التى ندر فيها الإخلاص وقلّ فيها الوفاء ، وطغت فيها المصلحة الشخصية والمنفعة العاجلة ، والأنانية الفردية وحب المال والجاه ، على كل معنى كريم ، فضلا عن « الإخلاص » فمرتقاه بعيد ، يحتاج إلى التضحيات ونكران الذات ، وكبح جماح الشهوات « **ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد ولكن الله يزكّى من يشاء** » .

والشىء الثانى الذى تتعطش إليه الدعوة الإسلامية هو الجمع بين الإخلاص والذكاء والتنظيم ، لقد وصف القرآن الأنبياء فقال ﴿ **أولى الأيدى والأبصار** ﴾ والحركات الهدامة التى تكتسح العالم الإسلامى والحضارة الغربية الخلاّبة التى ملكت النفوس والعقول فى كل مكان ، تحتاج لمقاومتها إلى ذكاء خارق وتنظيم دقيق ، فالسيل لا يمسكه إلّا سيل مثله ، إنّ الغرب المادىّ حرم الإخلاص ، وفاق الشرق الإسلامىّ بذكائه وتنظيمه ، فإذا مزجنا الإخلاص بالذكاء والنظام ، أو طعمنا تنظيمنا بالإخلاص والصلة بالله رجعنا أقوى منه بكثير ، وذلك معنى قوله تعالى :

---

(١) متفق عليه .

www.abulhasanalinadwi.org

﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾ .

الإخلاص هو النقطة الأساسيّة دائما فى الدعوة الإسلاميّة ، لكنه قلب يحتاج إلى جوارح ، وبصر يحتاج إلى أيدٍ يبطش بها ، ولو أن مجرد الإخلاص يكفى لإنقاذ الإنسان – على حد ذاته – من الهلاك الأبدى وإدخاله الجنة ، ولو لم يملك صاحب هذا الإخلاص صلاحية ما ، ولم يكن ذكيّا أو عالماً أو إداريّا ناجحاً ، لأنّه الجوهر الغالى المفقود المقبول عند الله تعالى ، والقرآن الكريم يقول بصراحة ، ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم** ﴾ سليم عن مزالق العلم ، مزالق السياسة ومزالق الدعوة أيضاً ، ومزالق الدعوة كثيرة يخفيها الشيطان عن أنظار الدعاة ، ويزيّنها لهم ، فيبدو لهم أنهم أصحاب خير ، ورجال دعوة ، وحراس دين ، بينما هم يعملون لأنفسهم ، ويعيشون لأنفسهم ، ويظنون أنّهم يعملون لله ويعيشون لله .

إن حياتنا معقدة ، وسريعة ، ومادّيّة ، والشرّ فيها منظم ، ومسلّح ، وأقوى ، ونحن لا نستطيع أن نتغلّب عليه بمجرّد الإخلاص أو بمجرّد التنظيم ، بل بالإخلاص الذى يرافقه الذكاء والتنظيم ، أو بالتنظيم والذكاء المطعمين بالإخلاص ، المتشربين بالإيمان وحسن النية ، وسلامة القلب .

هذا هو سلاحنا الأكيد ، وسلاحنا الأمضى فى وجه العدوّ ، فهل نعرف قيمته ونعرف دوره فى هذا العصر ؟

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

دور العاطفة والحبّ
فى التربيـــة والتوجيـــــه

المسلمون سواء كانوا فى الشرق العربى أو فى بلاد إسلاميّة أخرى علتهم واحدة ، وهم على اختلاف لغاتهم وأوطانهم وأجناسهم يلتقون على نقطة واحدة ، وهى النقطة الأساسيّة فى كيانهم العقلى والروحى .

وهذه النقطة الأساسية تتوزّع فى ثلاث نقاط أخرى .

إنّهم ينقصهم الإيمان الإيجابى العميق الذى يحول دون انسياقهم اللا شعورى بالتيّار الغربى ، أو التيّار الاشتراكى ، وينقصهم الوعى الذى يميّز به الإنسان بين الخبيث والطيّب ، والفاسد والصالح ، والصديق والعدوّ ، وينقصهم توحيد قواهم الفكريّة والعمليّة لمواجهة أساليب الغزو المادّى وتفوّقه وبراعته ، فى الانسياب الخفى أو الهجوم المكشوف .

وتلك هى النقطـــة الأولى !

أمّا سبيل التغلب على هذا الغزو الثقافى والسياسى فهو يتلخص – كما ذكرنا – فى ثلاث نقاط تالية :

أولا : بعث الإيمان الراسخ الحىّ فى نفوس الجيل الجديد ، ومعرفة دور العاطفة والقلب فى الدعوة ، والتربية ، والتوجيه ، وتغذية القلب دائما بغذاء دسم وافر يمنحه قوة كافية للتغلب على الشهوات ، ومغريات الحضارة الحديثة ، حتى لا يمد عينيه إلى تلك الحضارة الزائفة الخادعة ، طمعا فيها ، ورغبة إليها ، بل يستصغرها ويزدريها ، ويأسى على مصيرها ومصير أصحابها ، ويؤمن إيمانا راسخاً بأن « الدعوة إلى الله » أقدس الدعوات فى تاريخ الإنسانية ، وهى الدعوة الوحيدة التى تستحق جهادنا وكفاحنا وتطلب دموعنا ودماءنا ، ونفوسنا وأرواحنا .

ثانيا : الإيمان بأن هذه الدعوه إلى الله والتوجيه الإسلامى لا يستطيع أن

www.abulhasanalinadwi.org

ينهض بهذا العبء الثقيل ، ويؤدى دوره الهام المنتظر ، ويحقّق الانتصارات ويأتى بالمعجزات ، إلا إذا كان مدفوعاً بعاطفة قويّة ، وحبّ عميق يتملّك مشاعرنا وأحاسيسنا ، وكل مانملك من طاقات وملكات ، ومواهب وكفاءات ، وذلك لأن العاطفة والحبّ يشحن « بطارية » القلب كلما خلت ، ويزوده بوقود ومعدات لازمة للهجوم على التيارات المادية الجارفة والقوى الهدامة ، وإبادة الميكروبات التى تسمم داخل الإنسان من غير أن يشعر بها .

إن هذا « القلب المحب » يملأ الإنسان بنشاط دائم لا يفتر ، وطموح لا ينقص ، ويقين لا يشوبه شك ، وشوق إلى الله سبحانه شوقا يغلب على جميع أشواقه المادّية والمعنوية فى هذه الحياة ، والا فقد كانت هذه الدعوة حبراً على ورق ، أو كلمات ترتل فى المناسبات المعروفة ، وتقليداً لا روح فيه ولا حياة ، ولا لذة فيه ولا طرافة ، ولا عمق فيه ولا معنى .

ثالثا : ومن أجل الوصول إلى هذه الأهداف لابدّ من أن يكون فى كل بلد إسلامىّ عصبة مؤمنة « كشّافة » تنشر الوعى ، وتبعث الإيمان وتجند القوى ، وتكون مركز اتصال ونقطة انطلاق ، تستكشف الأفراد الذين يحملون هذه الفكرة ويقدّرون أهميتها وقيمتها ،وتجمعهم فى سلك واحد ، ثم تربّيهم على هذه المعانى ، ويرسخ فيهم هذا الإيمان ، وتغذى القلب والعاطفة بجانب الشعور والوعى ، العاطفة التى تزيد من قوة « الشعور » وتخفف من عبء « العقل » وآلام الطريق ، وتدافع عن الأفكار الهدامة والفلسفات السامة ، العاطفة التى تقوم على أساس السنة النبوية والشريعة الإسلامية ، وتعيش فى سياج منيع من حدودها وخطوطها المحدودة المعلومة ، هذا الاجتماع بين العاطفة والمبدأ والقلب والعقل والشعور والوجدان حاجة جيلنا الجديد ، وفراغ أساسىّ هائل لا يُملأ إلا بهذا الاجتماع المتّزن العادل .

الحبّ والعاطفة من غير وعى وشعور ومن غير حدود وقيود ومن غير شريعة ومنهاج ، ودستور ومبادىء ، نوع من الطيش أو الجنون (FANATICISM) كما أن مجرّد مبادىء أو مجرّد أفكار ونظريات جسد بلا روح ، وألفاظ بلا معنى ،

www.abulhasanalinadwi.org

هذه الأفكار « الفارغة » لا تستطيع أن تقف طويلاً أمام تيّار الحضارة المادية المعاصرة ، وتقاومها مقاومة فعالة ينتصر عليها ، بل إنها تنهار انهياراً سريعاً ، يظنّ الناس – خطأً – إن هذه الأفكار لم تستطع أن تواجه الماديّة لأنها كانت عتيقة بالية رجعية متزمتة ، والأمر أنها أخفقت وانسحبت من الميدان لأنها كانت فارغة عن الحبّ والعاطفة والإيمان الراسخ ، واليقين الكامل وكانت فقيرة فى قوتها المعنوية .

إن الاتصال بالله سبحانه هو المقياس الأوّل والآخر لنجاح الإنسان فى هذه الحياة ، وبعد هذه الحياة ، وهذا الاتصال ليس اتّصال نظريات وأفكار ومجرّد اقتناع عقلىّ ، وتربية فكرية فحسب ، بل إنّه تربية القلب أيضا على الحبّ ، والشكر ، والطاعة والانقياد ، والإنابة والخشوع ، والتقرب اليه بكثرة الذكر ، وكثرة السجود وكثرة الدعاء والإيثار ، والصدقة والبرّ ، والمواساة ، والقيام بالدعوة إلى الله متّسما بهذه الصفات ، علامة هذا الاتصال هو الخشوع والابتهال إلى الله فى ساعة الظفر ونشوة الانتصار ، والتوكّل عليه مع السعى التامّ المطلوب والثقة به حين تنقطع الأسباب ، والشفقة على الإنسانيّة المظلومة ، والغضبة على الطغاة والجبّارين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون .

www.abulhasanalinadwi.org

من ساحة الملعب إلى ساحة الحرب

إننا بحاجة إلى روح الإيمان ، إلى روح الاستقلال ، إلى روح الصمود ، إلى روح الانتصار ، أكثر من حاجتنا إلى قطع الغيار وإلى الآلات الاليكترونية رغم أهميتها وضرورتها فى الاستراتيجية المتطوّرة .

وأقول ذلك صراحة ، ومن غير مجاملة أو تأويل أو استحياء .

فالروح القتاليّة ، والعاطفة الإيمانية ، والحمية الإسلاميّة هى دائما فى المقدمة .

إنها تنفع مع البندقية البسيطة ، ومع الخنجر ، ومع العصا ، ومع الحجارة ، إنها تجعل كل فرد من أفراد الأمة حصنا منيعاً ومرابطاً أميناً على ثغر من ثغور الإسلام .

وتلك هى الدعوة التى دعا إليها القرآن حين قال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً ﴾ .

﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ﴾

فالمهمّ الأهمّ هو إيقاظ هذه الروح ، فى الشعب .

وطريقه المضمون أن نتدرّج به من ساحة الملعب إلى ساحة الحرب – فالطفرة المرتجلة أو الطويلة قد لا تفيد – هذا الانتقال من طور إلى طور ليس كلمة تقال ، أو مقالة تكتب ، أو مؤتمرًا صحفياً يعقد ، أو نشرة إخبارية تذاع .

إنها عملية طويلة حكيمة ، تحتاج إلى صبر ومثابرة ، وفقه وحكمة ، وشجاعة وجراءة وهدوء أعصاب ، وتنوير عقول ، وتثقيف أذهان ، وشحن قلوب .

www.abulhasanalinadwi.org

إنها عملية فى الروضة والثانوية والكلية ، وعملية فى جهاز الاعلام إذا أوجزنا الكلام .

وإنها – أيضاً – عملية فى المصانع الحربية كالتى تنتج « مايتيسر » لتشغيل الأيدى بل لتشغيل العقول والأبصار .

وقد أثنى القرآن على هذا الجمع فى ذكر الأنبياء والمرسلين ، وهم صفوة خلق الله بلا نزاع وأحبّهم إليه – فقال : ﴿ **أولى الأيدى والأبصار** ﴾ وقال يصف داؤد عليه السلام :

﴿ **وألنّا له الحديد أن اعمل سابغات ، وقدّر فى السرد واعملوا صالحاً** ﴾

إن تربية الشعب على هذه المعانى ، وعلى هذا الأسس ، وبهذا التصميم يجعله أرهب وأفزع لعدوّه من رأس ذرى على صاروخ موجه ، لأن الصاروخ مهما كان ، قوته مستعارة ، قد تخون ، وقد تخذل ، وقد تفوت ، وقد تنفد .

ونحن بما عندنا ومانستطيع أن نصنع بأنفسنا ، يمكن أن نتغلب على عدونا – رغم تفوقه فى التكنية والعلم – إذا رافقه روح الإيمان والتضحية ، والجهاد ، والغيرة الملتهبة والثقة بوعد الله ، والحنين إلى جنته ورضاه .

وإذا انتصر أسلافنا على أقوى الإمبراطوريات فى زمنهم بفئة قليلة لا تستحق التنويه والذكر إلى جانب جيوش كثيفة مدججة بالسلاح ، فقد كان ذلك بمدد من السماء وإيمانهم الكامل الذى بلغ أرقى الدرجات .

إن أسلافنا جاهدوا فى سبيل الله بسلاح ومن غير سلاح ففازوا لأنهم كانوا أقوى منا إيماناً ، وأولى منا بمدد السماء ، وأما نحن فقد نقص عندنا ذلك الإيمان أو ضعف أو اضمحل وتضاءل فإذا رفعنا مستوى هذا الإيمان – إذا صحّ التعبير – أو جددنا هذا الإيمان الذى بلى وتراكم عليه الغبار ، استفدنا بهذا السلاح البسيط الذى نملكه أكثر من الآلات المعقدة التى لا نملكها .

www.abulhasanalinadwi.org

وذلك لأن روح الإيمان ، وروح القتال والاستقلال ليست ترنيمة ، أو تغريدة ، أو تعويذة ، إنما هى الأكسير الذى يحيى الموات ، ويوقظ الرقود ، ويحرك الخامد ، ويفك العانى .

إن روح الإيمان تتطلّب أن نضع – على الأقل – مانقدر عليه ، أن نضع ما تيسرّ ، ونستفيد بما عندنا من طاقات وقوى ومواهب كل الاستفادة .

وما نقدر عليه كثير وكثير ، ما فى ذلك من شك .

إنّنا نقدر على أن نبنى المصانع الحربية التى تنتج الذخيرة الحيّة ، والبنادق ، والآلات الخفيفة البسيطة ، فهل فعلنا ؟

إنّنا نقدر على أن نستعين بأجهزة التربية والإعلام فى بث هذه الروح التى تجبر ماكسر وتعوض عمافات فى سباق التقنية والعلم وقد فاقتنا منه القرون ، ونستخدمها فى إعداد جيل قوى محارب يعرف استعمال السلاح ويحنّ إليه كما يحنّ الصادى إلى الماء الزلال ، ويحن إلى الموت كما يحن أعداؤنا إلى الخمر أو الفتاة ، كما عبّر به رسل هرقل حين سألهم عن جيش المسلمين وسرّ انتصارهم رغم ضعفهم وفقرهم ، وقلة عددهم ، فهل فعلنا ما قدرنا عليه ؟

هل إننا لم ندّخر وسعاً فى استعمال تلك الوسائل التى وهبنا الله حتى انطلقنا نبحث عن وسائل أخرى وذهبنا فى ذلك شتى المذاهب .

إنّ الذى لا يصنع البندقية وهو على ذلك قادر لا يسوغ له أن يحلم بالآلات الحاسبة الإليكترونية ، ويحرص على المخ الآلى والفانتوم .

وإنّ الذى يدع شبابه يلهو بين أحضان الغوانى ، ويتلهى بروايات غرامية مكشوفة ، أو مغامرات طرزان وجيمس بوند ، وهو فى أوج قوته ، وريعان شبابه ، فى العمر الذى يجازف فيه المغامرون بحياتهم لمستقبل بلادهم ، ويفرح ويمرح بعقلية النسوان والمردان وهو الآن فى دور الشباب الناضج ، وقافلة الرجال الأكفاء ، إنّ الذى يدع شبابه وفلذات أكباده ، وأمل بلاده ، وشرف دينه ،

www.abulhasanalinadwi.org

عرضة للشوارع والحانات والملاهي والكازينوهات لا يحق له أن يئن ألمًا أو يتأوّه وجعاً ، أو يرفع شكوى وعتاباً على مايفعل بهم فى قرارة دارهم ، فى عواصمهم وفى أعماق بلادهم .

هل إن الله ابتلانا بهذه الضربات والصفعات بيد أذلّ خلقه فى أرضه لأننا لم نملك الفانتوم أو ذلك السلاح الخاص الذى ضنت به روسيا . وأمريكا ، أو بخلت به فرنسا .

حاشـــا أن يكون الأمـــر كذلك .

إن بعض المغامرين من الشباب الفجّ قاموا بأروع مما قامت به قوات نظاميّة بعض الحين فهل إنّهم حملوا فى جيوبهم الفانتوم أو أخفوا فى ملاءتهم الصواريخ ! أو إنهم ربطوا بأعناقهم التمائم والتعويذات ؟

السرّ الوحيد البسيط أنهم صنعوا ما قدروا عليه وما استطاعوه ، استطاعوا أن يستعملوا ماتالوا من أحدث الآلات ويهبوا حياتهم فى سبيل مبدأ شريف ففعلوا ، وأقضت تضحيتهم مضاجع أعداءهم وأطارت صوابهم ، وبصرف النظر عن خسائر هذا الأسلوب وفوائده فإنّه يؤيّد ما أدلينا هنا من رأى ... وهو أن روح الإيمان وروح الاستقلال وروح الصمود هى دائما فى المقدمة .

ومقتضاها الأوّل أن نحقّق بما أتانا الله من مال وموهبة وخبرة ما يمكن أو مايتيسرّ تحقيقه وإنجازه فى أقرب فرصة ، ومن غير طمع كثير فيما عند أعدائنا ، فعدوّنا لا يعطى – طبعاً – إلاّ بمقدار مالا يضرّه ولا يجرح مصالحه ، وتلك غريزة كامنة فى نفس الإنسان أياً كان ، وحقّه الطبيعى المدنى ، فكيف يحلو لنا أن نطلب منهم من أحدث الآلات الفتاكة لنفتك بهم أو نفتك بإخوانهم ؟

أفلا نفكر فى أن نطلب من إسرائيل مباشرة مقداراً كافيا مستحدثا من الأسلحة بحكم الجوار والقربى لنقضى عليها ونلقى بها فى البحر ؟

إن طلب الأسلحة من روسيا وأمريكا لا يختلف كثيراً عن طلبها من

www.abulhasanalinadwi.org

إسرائيل فى النتيجة ، إلّا إن الطريق الأوّل مباشر مكشوف ، والطريق الثانى غير مباشر مستور .

ففيم هذه الشكرى ، وإلى متى هذا العتاب ؟

آه ، لقد طال الزمن ، وتوالت المحن والفتن . وأمتنا واقفة على نفس هذه النقطة التى وقفت فيها عندما أطيح بعرش فاروق ، أبت أيديها أن تصنع وتحذق ، وأبت عقولها أن تفكر وتبتكر ، وأبت غيرتها وحميتها أن تحول هذا البيت المنهار إلى بيتها المستقل الجديد ، الشامخ العتيد ؛ بيت تبنيه لنفسها وبيديها وترفع قواعده وتحكم بنيانه بإيمان وجهاد ، وطاعة وانقياد وعدة وعتاد .

ألا أن العالم الإسلامى يحتاج إلى بيت جديد مشترك يبنيه أهله بكدّ يمينهم وعرق جبينهم ، متعاونين فيما بينهم ، بيت من صنع البلد ، ومن صنع العقيدة ، ومن صنع الإيمان ، ومن صنع الغيرة ، ومن صنع العاطفة الجريحة والشعور المكلوم ، بيت ستستظل بظلاله الوارفة – إن شاء الله – بلاد آسيا وافريقيا كلها ، والانسانية البائسة بأسرها .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الغرب المتكبّر والشرق المتكرّ

في مجتمعنا الحاضر موجات متلاحمة تركب بعضها بعضاً ، وتيارات متزاحمة تأكل بعضها بعضاً ، وأناس مشاغبون ، متباغضون ، متنافرون ، يموج بعضهم في بعض ، ولذلك نرى الأوضاع - رغم كل الضمانات والصيانات والوقايات التي أنتجتها الحياة الصناعية الراقية - تتدهور كل يوم من سيىء إلى أسوأ ، لماذا ؟

لأن هذه الوقاية أو هذه الصيانة سطحية لا تمس إلّا القشور ، ولا تبلغ إلى الجذور ، إنها لا تتناول إلا أموراً سطحية ظاهرة ، لا تمت إلى صميم الحياة ، ونفسية المشكلة ، وجذور القضية بصلة ، إنما هي تعتني بالمظهر الكاذب للإنسانية ، أثاث فاخر ، وقلب فاجر ، جسم فاره ، وروح شاحبة ، هندام جميل وأعصاب متوترة ، قوة هائلة كالعفاريت ، وعقلية صغيرة ضيقة كالعصافير . هذا المظهر الكاذب استهلك طاقات الانسانية كلها ، منذ زمن طويل ، خاصة بعد النهضة الأوربية الحديثة ، وقد جاء وصف القرآن لهذا الوضع المظلم وتصويره المعجز البليغ لانحطاط الإنسانية وشيوع الفساد جامعاً بين تعيين الداء وتحديد الدواء ، والحثّ على الرجوع إلى الله واستثارة نوازع الخير في الإنسان ﴿ **ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون** ﴾[1] .

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾[2] .

---

(١) سورة الروم الآية ٤١ .
(٢) سورة الكهف الآية ١٠٥ .

www.abulhasanalinadwi.org

﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ﴾[٣] .

فهل فى دراستنا الاحصائية ، وعلومنا الوقائية ، وبحوثنا الفكرية والاجتماعية العميقة الطويلة فى عالمنا الإسلامى مكان ما – ولو فى زاوية صغيرة بعيدة – لما كشف عنه كتاب الله وأقره كسبب رئيسى لهذا الفساد الذى ظهر فى البرّ والبحر ؟

هل فى جامعاتنا العصريّة كرسى خاص للبحث فى مثل هذه الأمور الحيوية الدقيقة الخطيرة ، الأمور التى يتوقف عليها مستقبل الإنسانية ومصير الحضارة ؟

هل فى عمالقة الفكر والفلسفة والاجتماع فى الغرب والشرق من يهتم بهذه القضية ، قضية النوع البشرى كله والأسرة الإنسانية كلها ؟

هل هنا بين هذه المكتبات العالمية العامرة ، والسيل العرم من المطبوعات ، وفى هذا المحيط الهادر من الثقافات ، والآداب ، والعلوم والفنون ، والمذاهب والفلسفات ، ناحية لدراسة هذا « العلم النبوى العظيم » الذى ترتبط به سعادة الدنيا والآخرة ؟

كلا ! وماهو إلاّ الاستكبار والصلف والتبجّح والحقد الدفين فى صدور الصليبيين الذى يمنعهم من قبول الحق المبين ؟

إنّ هذا العلم ، علم النبوة والوحى والرسالة الخالدة ، العلم الذى أوتى موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين – يتحدّى جميع العلوم وجميع الحضارات ، والثقافات والمذاهب والفلسفات ، والدول والحكومات ، ويقول بلهجة جازمة وأسلوب قاطع وبيان صارم ، إن هذه العلوم لا قيمة لها بتاتاً ، بل هى تعود وبالاً وأغلالا فى عنق أهلها إذا قطعت صلتها بالنبوة ، وازدرتها ، ونظرت إليها بعين الاحتقار والاستخفاف والاستهزاء ، كما عبّر عنه القرآن على

---

(٣) سورة الشورى الآية ٣٠ .

www.abulhasanalinadwi.org

لسان قدماء المشتركين ، ﴿ **وما نراك اتبعك إلاّ الذين هم أراذلنا بادِيَ الرأى ، ومالنا عليكم من فضل بل نظنكم كاذبين** ﴾[1] .

ويقـــول :

﴿ **أهولاء الذين منّ الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين** ﴾[2] .

إن هذا العلم هو علم القلب الذى يتوقف عليه كيان الإنسان ، كما عبرّ عنه لسان النبوة قائلاً :

« **ألا ! إن فى الجسد مضغة . إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب** » .

إن هذا العلم هو علم السباحة ، ولا يمكن لأى إنسان أن يجتاز نهر الحياة الفائض ، ويعبر أمواجه الهائجة المائجة ويقاوم العواصف الهوجاء العاتية ، ويحفظ نفسه من تماسيح هذا النحى العميق الكبير وحيواناته وثعابينه وعلقه ، من غير أن يتعلم هذا العلم ويعرف فن السباحة .

وأروى لكم بهذه المناسبة قصة طريفة تلقى الضوء على هذا الأمر ، وتقرب فهمه إلى العقول والأذهان .

ركب لفيف من الشباب الجامعيين – وكانوا فى عطلتهم الصيفية – سفينة ، وكان النهر فائضاً ، والمنظر جميلاً ، وقالوا للملاّح الفقير أن يذهب بهم إلى الشاطىء الآخر حيث يتمتعون بالماء والخضرة ، والهواء البارد بعض الوقت ففعل ، وطاب لهم الجوّ وآنسوا المنظر فبدالهم أن يحاوروا الملاّح ، ويتندروا به ، فسأله واحد منهم وكان طالب هندسة ، هل تعلمت الهندسة يا ملاّح ؟ فتحير ولم يجد جواباً ، فسأله لابد أنك تعرف الحساب طبعاً ، وأنكر

---

(١) سورة هود الآية ٣٧ (٢) سورة الأنعام الآية ٥٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

خجلا ، وسأله ثانٍ عن الكيمياء وثالث عن الفلسفة ورابع عن الجغرافية ، وهو يقول إنه لا يعرف ما هذا الشيء ، ولم يسمع عنه فى حياته ، فضحكوا منه وقالوا له : إذاً إنك اغرقت شطر حياتك ، ومالبثوا دقائق حتى اشتد الفيضان وبدأ الزورق الصغير يتمايل يميناً وشمالا ، وشعر الملاح بالخطر ، فسألهم هل تعرفون السباحة يا أبنائى ، فنكسوا رؤوسهم وقال : لا ! وعلم الملاّح – وكان ذكيا – أنهم مقبلون على الغرق ، فقال : إذا إنكم أغرقتم حياتكم كلها !

إن هذه القصة ، قصة من صميم الحياة ، إنها قصة الغرب المتكبر والشرق المتنكر ، إن مصير الغرب – إذا استغنى عن نور النبوة – هلاك محتوم ، وإن هذه الوسائل الجبارة والمخترعات العجيبة المدهشة ، والحضارة المزخرفة المنمقة ، وحرية الكلاب والخنازير لا تغنى من عذاب الله شيئاً ﴿ **ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ، لعلهم يرجعون** ﴾ .

لمـــاذا ؟

لأن هذه العلوم أو هذه الحضارة لا تمس – كما قلت فى مطلع الحديث – غير القشور وغير الظواهر ، إن الغرب لا يعرف أن ما فقده من القلب ، لا يجده إلا فى القلب ، إنه فقد لوعة الحب ، ولذة الروح ، وصفاء الضمير ، إنّه فقد حنان الأم ، وعطف الأب ، وحب الأخ ، ورحمة الزوج ، ومودة الصديق ، وأراد أن يستبدلها بمساكن مخصصة للعجائز الذين لا يتحمل الأبناء ، وصالونات ترفيه للشيوخ الذين قضوا وطرهم من الحياة ، ومستشفيات للمجانين الذين سئموا صخب الحياة وضراوتها وقساوتها ، وروضات للأطفال أصبحت كالزنزانات ، أو كميونات شعبية (COMMUNES) فى البلاد الاشتراكية أصبح فيها الإنسان حيواناً أو جماداً أو نباتاً ، يخاف على نفسه – من هول الاضطهاد والحكم الرهيب – أن يحول بعثرة لسان أو سوء بيان إلى قطعة من الصابون أو علبة من المسحوق .. هذه الحياة الرهيبة أو الحياة الرتيبة ، ليست إلّا عذاباً من الله فى الدنيا قبل العذاب فى الآخرة .

www.abulhasanalinadwi.org

والقرآن بشر الكفار بالعذاب فى عدة مواضع كما بشر المؤمنين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴿ **لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾[1] .

﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾[2] .

وقـــال :

﴿ **إنّ الذين قالوا ربّنا الله ، ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾[3] .

إن فلاسفة الغرب لم يفهموا بعد معنى الحضارة والمدنية ولم يعرفوا الصلة بين المادة والروح ، والعقل والقلب ، والآلة والضمير ، والغاية والوسيلة ... ولذلك نراهم يرتكبون فى أفكارهم وكتاباتهم أخطاء صبيانية لا تتصور من صاحب عقل ورشد وتمييز ، ونرى كبار عقلائهم ونوابغهم لا يعرفون الفرق بين الحقيقة وشبحها ، والحقيقة وظلها وجهلوا أبسط المبادىء التى تتصل بالخلق والخالق ، وغاية الحياة ، وتوغلوا فى أعماق العلوم التى لا خلاق لها فى الدنيا والآخرة وذلك معنى قوله تبارك وتعالى :

﴿ **قل : هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ، الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** ﴾[4] .

﴿ **بل ادارك علمهم فى الآخرة ، بل هم فى شك منها ، بل هم منها عمون** ﴾[5] .

﴿ **ذلك مبلغهم من العلم** ﴾

وكما أن علوم هؤلاء الشباب الجامعيين الذين ركبوا السفينة ، لم تنقذهم من

---

(١) سورة يونس الآية ٦٤ . (٢) سورة يونس الآية ٦٣ .
(٣) سورة حم السجدة الآية ٣٠ - ٣١ .
(٤) سورة الكهف الآية ١٠٥ (٥) سورة النمل الآية ٦٢ .

www.abulhasanalinadwi.org

الغرق ، كذلك هذه العلوم التى فاضت بها المكتبات الغربيّة ، والجامعات الغربية لا تستطيع أن تنقذ الغربيين من الغرق لأنهم لم يتعلّموا فن السباحة ، وفن الحياة ، وفن الخلود ، واطمأنوا إلى الحياة الدنيا ورضوا بها ، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم ، فترى بعضهم يقضى عمره فى النحت وبعضهم فى التصوير ، وهذا ينفق الملايين على كلبه المدلّل ، وهذا يقضى عمره كله فى معرفة أسرار فن الطهى ورموزه ، وهذا يقضى عمره فى رسم الأزياء والتقاليع ، ولا سبب له إلّا البعد عن الهدف ، والجهل عن الحق ، والعلو والاستكبار ، والإخلاد إلى الأرض ، واتباع الشهوة ، وابتغاء الشهرة ، ورضا بالحياة الدنيا عن الآخرة .

﴿ نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون ﴾[1] .

هذا فى الغرب ... فما هو الأمر فى الشرق ؟

تقليد فى غير ذكاء ومحاكاة فى غباء ، والاكتفاء بالجوانب التى تجلب المتعة واللذة عن الجوانب التى تتّصل بتنظيم الحياة ، وتصميمها ، والرغبة فى الارتجالية والتهور بدلا من الروية والتفكير والصبر .

والجرى وراء المتعة الرخيصة ، واللذة المكشوفة كالكلاب اللاهثة ، والفرار عن الحبّ والاجتهاد كما يفعله الغربى ، ثم يرفه عن نفسه منطلقا عن جميع الحدود والقيود فى آخر أيام الأسبوع .

سبحان الله العظيم ! لقد أخذنا من الغرب عاهاته وآفاته ، وتركنا خبراته وحسناته ، وذلك جزاء كل من يتنكر لدين ربّ العالمين ، ويكفر بالنعمة ، ويجحد بالفضل وتتشعب به المسالك عن الصراط المستقيم فيتخبط من غير هدى ، ويتسكع فى ضلال وعمى .

لقد تاه الغرب بحكم ظروفه وبيئته وأخطائه ، وهاهو ذا يجنى ثماره المريرة ،

---

(١) سورة الحشر الآية ١٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

ولا يجد حيلة ولا يهتدى سبيلا ، إنه يحصد الآن مازرع ، ويشكو ممّا صنع ، فما لنا نجرى وراءه كقطعان ضالة من الغنم ، لا رأس لها ولا رائد ، ولا راعى لها ولا حارس ، وما لنا لا نأخذ منه إلا مايوافق الهوى والجنس واللذة والشرود والشذوذ ، أما ما يتعلّق بتفتيق القرائح ، وإذكاء المواهب ، والترويض على حياة الجدّ والاجتهاد ، وعناء البحث العلمى فلا نصيب لنا منه إلا قليلا .

ونظرة واحدة إلى المغتربين والمبعوثين – باستثناء قلة من المؤمنين – تكفى برهانا على صدق ما نقـــول .

إن تطوير الحياة ، وتقدم البلاد ، وتحسين المعيشة ، ورفع مستوى الحياة ، وتضخم الدخل والايراد ، ومجاراة الغرب فى الأسواق والمعارض التى تتحلب لها أفواه أهل الشرق ، وإن هذه الحياة اللامعة البراقة التى تعجب أبناءنا الفج فى الغرب وتستهوى قلوبهم وعواطفهم أصبحت اليوم سلاسل وأغلالا فى قدمه ، وطوقاً ثقيلاً فى عنقه ، وما حوادث الانتحار والجنون ، والتوتر العصبى ، والقلق النفسى العام ، والفجور العلنى الشائع ، وحركات الحيوانية والشذوذ ، والتفنن فى إرواء غلة الجسد وخواء الروح بحركات مضحكة ومهازل مبكية ، إلا مظاهر يأسه واخفاقه فى مضمار الحياة وقعوده عن قيادة الإنسانية وعجزه عن الحصول على المسرة الحقيقية ، والأمن العاطفى ، والشعور بالخطيئة والإثم الذى خالط لحمه ودمه ، وإن لم يعترف به لاستكباره ، وقوته ، وعساكره وجنوده ، إنه يعرف فى قرارة نفسه – وإن لم يعترف به – إنه أضعف من النبل ، وأحقر من الذباب ، وأخس من الكلاب ، وأضل من الديدان والحشرات ، ولكنه لا يجد سبيلا ولا يعرف طريق الخلاص .

﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ .

إنّه نتيجة الاستغناء عن نور النبوة ، وهداية السماء ، إنه نتيجة الحقد الذى يغلى به صدور الصليبيين الجدد فى الغرب على سيدنا محمد ﷺ ونبوته الأخيرة الخالدة وعلى كتاب الله المقدس الأخير الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد

www.abulhasanalinadwi.org

إن المسيحية والصليبية لا تزالان تشكلان خطرًا على الإسلام والمسلمين ، وتضمران الحقد لهما ، وتدبران المكر عليهما ، وهما صورتان لحقيقة واحدة ، حقيقة الكبر والحقد ، والتمويه والتضليل ، والفساد فى الأرض ، وجناحان لمعسكر واحد ، معسكر الكفر والضلال ، أو بتعبير أدق وأفصح معسكر المسيح الدجّال .

فمالنا نحن المسلمين فى الشرق نرقص على نغمات هذه الصليبية الحاقدة ، ونتجاوب مع أصدائها ونسبح بحمدها ، ونتفانى فى حبّها ، ولا تمنعنا الذلة والاهانة التى لقيناها من معسكر أو كتلة أن نجرب حظنا فى معسكر آخر أو كتلة أخرى ، ونستبدل بعد كل عشر سنوات أو عشرين سنة سيدًا قديما بسيد جديد ، واستعمارًا قديماً باستعمار جديد ، والعبيد هم العبيد لا تغيير فيهم ولا تبديل [1] .

وأرض الكنانة ، أرض الإسلام والإيمان ، تندب حظها النكد على يد هؤلاء السفهاء ، وتقول بلسان حالها :

﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا[1] ، إن هى الا فتنتك ، تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ﴾ .

---

(١) وقد تبلغ العبودية والخنوع والرضوح للاستسلام وللركل بالاقدام ببعض الحاقدين ، والفاقدين الغيرة والحياء – وإنه بورقيبة – أن يتحدى الشعب التونسى المؤمن الغيور فى غيرته وعقيدته وحرمته ومقدساته ويعلن باستهتاره وكفره جهاراً ، فيتهم كتاب الله بالتناقض ، والمعجزات النبوية بالخرافة ، واستلام الحجر الأسود بالشرك ، ويتهم النبى ﷺ بقبول طقوس المشركين ونقل الخرافات إلى القرآن ونحو ذلك .

والمحل ليس محل البحث والدراسة ، فالرجل أبعد من العلم بمثل ماهو أقرب إلى الخمر وهو لا يعرف كتاب الله ولا يعرف معنى التناقض ، وإنما دفعه الحقد والعبودية – التى تعودت عليها بعض النفوس ، أن يتحسس نبض شعبه ويمتحن غيرته وتماسكه ، فاذا رأى منه ما يشجع . تقدم فيما أراد ، وزاد واستزاد ، وإذا رأى ما يكره انكمش وانحنى ، وعاد إلى جحره يتربص بالمؤمنين الدوائر ، وهو لا يخدم فى ذلك إلا أسياده ويرضى نذالته ، وكل إناء يترشح بما فيه ، وهذا ليس جديداً منه أو بدعا ، فهذا دأبه وديدنه منذ زمان ، عرف به بين الأقران .

www.abulhasanalinadwi.org

إن الله أغناكم يا قوم بالإسلام ، أغناكم بنبيكم محمد ﷺ وبكتابكم القرآن وذروة سنامكم الجهاد ، أغناكم بالمحجة البيضاء ليلها كنهارها ، أغناكم بالمفتاح الذى يفتح به كل قفل ، ويحل به كل مشكلة ، أغناكم بالمعين الخالد الذى لا ينضب ، والمدد الذى لا ينفد ، والنور الذى لا ينطفى ، والتوفيق الذى لا يخون ، والنصر الالهى الذى لا يخذل عباده ، وهم على الطريق ، طريق الإيمان والقرآن ، والفرقان ، طريق الجهاد والإعداد والاجتهاد ، طريق التقوى والصبر ، فلنكن كما أراد الله لنا أن نكون ، ولنبق فى هذا المكان السامق الفريد الذى اختاره الله لنا كحملة الرسالة الأخيره ، وكتائب الانقاذ للإنسانية المعذبة ، ومشاعل النور للتائهين فى الأرض الضالّين فى دروب النفس ومسارب الحياة فى عواصم الغرب والشرق .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

من الصورة والخريطة إلى المعنى والحقيقة

العالم اليوم لا يحتاج إلى شيء بمثل ما يحتاج إلى زعامة « العالم الإسلامي » – أريد العالم الإسلامي في المعنى والحقيقة لا في الصورة والخريطة – لأنه اكتوى بنار حربين عالميتين مدمرتين ، وذاق مرارة الاستعباد والظلم والهمجية زمناً طويلا على يد القوى الكبرى ، ولايزال يئن ألمًا تحت وطأة هذه القوى المستعمرة وثقلها ، لا يجد حيلة ولا يهتدى سبيلا ، وليست على وجه الأرض قوة مستقلة ، ذاتية أخرى تدفع عنه السوء ، وتحميه عن الظلم والعدوان ، وتحرسه عن مكائد أعداء الانسانية ، أعداء الحق ، أعداء السلام .

إن هذه الدول الكبرى أو الشركة التجارية الكبرى أو شركة القمار والدمار – بتعبير أصحّ ، ظلت منذ نشأتها خالية عن كل معنى من معانى الروح والقلب ، ولذة العاطفة والوجدان ، ونقاء الضمير ، وسلامة الصدر ، رغم تفوقها فى المجال الصناعى ، فخسر العالم تحت رايتها وسيطرتها أكثر مما ربح ، إنه خسر كل شيء يعتزّ به الإنسان ، وربح كل شيء يختص بالجماد والحيوان .

أضف إلى ذلك تلك الحروب الدموية ، والتعذيب الوحشى وإبادة الإنسانية بشتى أنواع الميكروبات والغازات السامة ، والأوبئة الخلقية ، والأدواء النفسية مما أدى إلى ازدياد حوادث الانتحار والجنون فى العالم بشكل فظيع مروع .

من أجل ذلك فقدت الإنسانية أخيرًا ، ثقتها بقادتها ، وهى تنتظر من يكشف غمتها ، وينقذها من هذا الوضع القاسى المزرى ،والمصيرالمؤلم انتظار من اشتدت به الحاجة ، واستبدت به الفاقة والجدب والعطش ، ولعل هذا الوقت هو أصلح الأوقات وأحسنها لظهور هذه القوة الإسلاميّة على مسرح العالم الفكرى والسياسى .

www.abulhasanalinadwi.org

ولكن ظهور هذه القوة منوط – طبعاً – ببعض المقدمات والخطوات التى قد تسبق هذه العملية وأريد بهذه الخطوات صفاء أذهاننا ، وسلامة صدورنا وقوة إرادتنا وثقتنا بأن المستقبل لنا إن شاء الله .

وصفاء أذهاننا أن لا يكون هناك ريب أو شك فى الغاية التى ننشدها ، والأساليب التى اخترناها لبلوغها ، وأن تكون رؤيتنا واضحة نيّرة ، متفائلة ، لا غبار عليها ... وحتى نعلم علم اليقين أن غايتنا أشرف غاية ، وأكرمها ، والإنسانية أحوج إليها اليوم أكثر من أى وقت مضى ، أما إذا علق بأذهاننا عالق أو سدّ طريقها عائق أو أصابها زيغ أو انحراف أو شك وارتياب . فإن ذلك يضرّ – بالتالى – كياننا كله ، وأجهزتنا كلها ، وإن الأفكار والموجات الفكرية المختلفة والاتجاهات التى تغشى العالم العربى هى التى تحول – اليوم – دون رؤية فئة دون فئة ، والوصول إلى هدف أعلى وأسمى مثل هذا الهدف – أعنى ظهور الكتلة الإسلامية – يقتضى أن تكون رؤيتنا – الآن – موحدة لا تنافر فيها ، مركزة لا تفتت فيها ، نيرة لا غبار عليها .

وسلامة صدورنا هى أن لا تدفعنا على هذا النضال الكريم الأغراض المادية ، والمصالح الشخصية . والأحقاد السياسية ، والأنانيات البغيضة ، بل يكون عملنا وكفاحنا خالصًا لله ، فهى نقطة هامة تختلف بها الفئة المسلمة عن الكافرة ، أو الفئة المؤمنة القوية الإيمان عن التى ضعف إيمانها بالله تعالى ، ودخل قلبها الرياء وحبّ المنصب والجاه والشهرة ، ونسيت هدفها الأسمى ومقصدها الأسنى الذى قال الله تبارك وتعالى عنه فى كتابه المجيد .

﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ .

وسلامة الصدور هى النقطة الأساسية فى كل جهاد وكفاح ونضال عند المسلم ، فلا فائدة فى فداء ليس فى سبيل الله ، ولا أجر على شهادة كانت إظهاراً للبطولة ورغبة فى المدح والثناء ، والأحاديث فى هذا الباب مستفيضة يعرفها كل مثقف ، وحكم الإسلام فى ذلك واضح بيّن ، لاغموض فيها ولا نزاع .

www.abulhasanalinadwi.org

وقوة ارادتنا هى أن نصمد – بعد أن اتضحت الغايات وسلمت النيات أمام الشدائد والمكاره ، فإن مجرد هدف نبيل ومجرد نية سليمة وإخلاص لا يكفى ، فلابدّ معه من إرادة قوية لا تبالى بالعراقيل والعقبات ، والاخفاق والفشل ، بل تقاوم كل فشل واخفاق بأمل جديد ونشاط جديد ﴿ **الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم** ﴾ . وجاء فى موضع آخر من القرآن ، ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾ .

والثبات على جادة الحق وعلى خط المواجهة العسكرية والسياسية لأخذ الحق المهضوم والثأر للشعب المظلوم شرط لازم للنجاح المتوقع ، والغد المشرق المضمون .

وأخيراً ... الثقة بوعد الله ، الثقة بنصر الله ، الثقة بالنجاح والفلاح ، الثقة بالمستقبل ، الثقة بأن الله قادر على ردع المعتدين ورد تلك القوى المادية الهائلة على أعقابها خائبة خاسرة .

كنا نثق – أوّلا – بالقوى العالمية فلم تغن عنا شيئاً ، وتتابعت النكسات والويلات فى انحاء العالم العربى والإسلامى كله وتساقطت عليها كمواقع القطر ، كنا نثق بالقوة المادية والوسائل الحربية ، والعدد والعدد ، فلم تنفع كثرة العدد وقلة العدو ، وكنا نثق بالرأى العالمى فلم ينفع ، وبالدول غير المنحازة فما صنعت لنا شيئا .

واعتمدنا على الله مرة واحدة بعد سبع سنين من الحيرة والتخبط والظلام والتنكر للإسلام فردّ إلينا اعتبارنا وكرامتنا .

إنها مقدمات ضروزية وخطوات جذرية ، ولبنات أساسية لكل بناء جديد ، إن انتصار العرب على اسرائيل فى معركة العاشر من رمضان ووحدتهم الرائعة ، وشجاعتهم الباهرة ، وسلاح البترول الذى أرهب العالم وأقض مضاجع الغربيين

www.abulhasanalinadwi.org

والتجمعات الإسلامية ، والأمانة الاسلامية العامة ، وإنشاء بنك للتنمية والسعى نحو إقامة صناعات حربية عربية ثقيلة ، والاتفاقات العسكرية والتجارية الخطيرة ، والشعور المتزايد بضرورة الاتحاد والتنظيم والعمل بوحى من الإسلام ، وهدى من الإيمان ، ونور من كتاب الله وسنة رسوله ، تباشير فجر جديد ، قد لا نراها بوضوح فى هذا الوقت ، ولكنها ستتحوّل – إن شاء الله – فى زمن يسير إلى أضواء ساطعة تهدى الطالبين إلى الحق الواضح المبين .

إن حاجة العالم الخارجى إلى مثل هذا التضامن الإسلامى ووجود كتلة سياسية مستقلة ليست أقل من حاجة العالم الإسلامى إلى هذا النوع من التضامن ، وإلى ذلك الطراز الرفيع من القيادة واللون الفريد من الإصلاح والهداية .

إن الحضارة الغربية قد آذنت بالأفول والزوال ، وانتهى دورها ، ونضجت ثمارها وحان أوان قطافها ، وهى لا تستطيع أن تمدّ العالم بشيء جديد رائع ، وتتحفه بأهداف نبيلة ، ودوافع خيرة ، وأخلاق سامية ، وحياة نظيفة طيبة ، وقلب سليم ، وعقل نيّر ، وعاطفة قوية تحثه على الخير ، وتحمله على البرّ والمعروف ، وتحمل الإنسانية الغارقة المستغيثة على سفينة الأمن والإيمان والسلامة والإسلام !

وليست هناك دعوة سياسية أو حركة اجتماعية ونظرية فلسفية غير دين الله الأخير الخالد « الإسلام » الذى صرخ بأعلى صوته حتى دوت به الآفاق ، وردّد صداه الكون ﴿ **تعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ حتى أصبح مبدأ عاماً ، وعرفاً شائعاً وهتافاً واضحاً ، لكل من يريد الكفاح لدينه ، ويريد أن يخدم الإنسانية ويؤدى دوره الإسلامى وواجبه الإنسانى . فلا تباين بين الانسانية والإسلام بل أنهما يعيشان كتوأمين بأمن وسلام .

إن هذه المسئولية لا تقع على عاتق الحكام فحسب ، بل إنها مسئولية الشعوب المسلمة أيضا ، وإنها مسئولية الشباب المسلم الواعى الثائر بوجه أخصّ أن يفهم خطورة الوضع ودقة المسئولية ، وعمق الواجب ، فيشعر أنه على رباط دائم ، وجهاد مستقل مع عدو النفس الذى بين جنبيه ومع العدوّ الشرس الذى

www.abulhasanalinadwi.org

بين يده إلى أن يلقى ربّه راضياً مرضياً ، قد أدىّ واجبه وأمانته بشجاعة واخلاص ، وصدق ما عاهد الله عليه ﴿ **فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً** ﴾ .

بهذا الوعى الدينى ، والوعى السياسى ، والانفتاح الفكرى والروحى على العالم ، والاسهام فى بناء الحضارة ، وقيادة البشرية ، والتوجيه العلمى والثقافى للشعوب الحائرة ، تستطيع الشعوب المسلمة المؤمنة وقيادتها « الواعية الراشدة الجريئة » أن تحقق أحلام أبناء هذه الأمة بعد زمن طويل من اليأس والحيرة والأسى مادامت صلة الأمة بالله قوية ، وثقتها به سبحانه وتعالى وطيدة ، ومعرفتها بالجاهلية الحديثة واسعة وعميقة ، وإن ربك لبالمرصاد ، وهو كفيل باحباط جهود الأعداء ومخطّطاتهم المنكرة التى يدبرونها على الصعيد الأول ، وردّ القرآن واضح جلىّ لكل من فى قلبه ذرة من شبهة فى قدرة الله فإن قدرة الله لم تتغير ، بل إنما تغير خلق الله .

﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيرًا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول** ﴾

(وصدق الله العظيم) .

www.abulhasanalinadwi.org

منهـــج دائـــم للأمّـــة

لئن سأل سائل : إن حياة النبى ﷺ كلها أسوة ، وكل ما صدر عنه ﷺ من قول وعمل ، وتقرير وإثبات ، درس وعبرة ، فهل لنا فى وضعنا الحاضر الجديد ، وفى مشكلاتنا المتجددة المعقدة مثل نحتذى به ، وهل فيها حلّ لما نحن فيه اليوم من عصبيات جاهلية ، وحروب أهلية ، ونزعات إقليمية ، واتجاهات انفصالية ، واشتبكات دامية بين الأخوة فى اللغة والدين والتراب والطين ، قلنا بلى ! وهذا الحلّ السريع الحاسم ، هو ما جرى على لسانه الكريم عندما خاطب الأنصار فقال قولته الخالدة :

« **المحيا محياكم والممات مماتكم** » .

فلنرجع لبعض الوقت إلى عهد النبى الزاهر ، ونرى بأنفسنا كيف عالج الرسول هذه المشكلة الإنسانية الخطيرة التى عجز عن حلّها كبار المصلحين والمفكرين ، وكبرى الدول والحكومات .

جاء فى زاد المعاد : « ثم آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى دار أنس بن مالك وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار آخى بينهم على المؤاساة ويتوارثون بعد الموت دون ذوى الأرحام إلى حين وقعة بدر فلما أنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ **أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله** ﴾ ردّ التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة »[1] .

وقال ابن إسحاق : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه مالم يقل ، « **تآخوا فى الله أخوين أخوين** »[2] .

---

(١) زاد المعاد ج ٢ ص ٢٥٦ .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٣٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

وجاء فيه « فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مجاهداً ، فقال عمر لبلال : إلى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال مع أبي رويحة ، لا أفارقه أبداً ، للأخوة التي كان رسول الله ﷺ عقد بينه وبيني ، فضمّ اليه وضمّ ديوان الحبشة إلى خثعم لمكان بلال منهم ، فهو في خثعم إلى هذا اليوم بالشام[1] .

وكانت هذه المواخاة اللبنة الأولى التي قام عليها المجتمع الإسلامي فيما بعد وقضت على كل الفوارق الوطنية والقبلية في مهدها ، قبل أن يتفاقم شرها ، ويستشري داؤها في خلايا المجتمع الإسلامي . وبقي الصحابة رضي الله عنهم على هذه الحالة حتى قويت شوكة الإسلام ، واستتب الأمر والنظام ، فانتقلوا من هذه الأخوة الخاصة – التي كانوا أحوج إليها في هذه الفترة ، إلى أخوة عامّة **﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾**

إن شجرة الأقليمية والانفصالية والعصبية القومية لا تنمو إلا في مجتمع ضعف فيه سيطرة الدين وزال سلطانه عليه ، ولا يمكن التغلب عليها باقليمية أو قومية بقومية مثلها أو أخبث منها ، فالذي خبث لا يخرج إلا نكدا ومثل من يواجه قومية بقومية ، وعصبية بعصبية وجاهلية بجاهلية كمن يضع أشواكا جديدة إلى جانب أشواك قديمة بدلا من أن يقيلها ويزيلها ، أو كمن يطفئ ناراً بنار ، بدلا من ماء ، وما رأيك في من يصب البترول على النار ثم يشكو من ألسنة النيران ، واللهيب والدخان ؟

إن المبادئ التي ينادي بها المتخاصمون والمتحاربون هي لا تكون عادة أكثر من « غطاء جوّي » إذا استعملنا الاصطلاح العسكري ، لتقوية تحركاتهم البرية والبلوغ إلى مراميهم وأهدافهم .

أما هذه المرامي والأهداف فهي اقليمية بحتة ، أو مادية مجردة ، فالمهم اليوم

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ١٢٧ .

www.abulhasanalinadwi.org

عند الناس أن لا ينتفع أجنبى – ولو كان أقرب من قريب – من خيرات بلده ، ثانيا أن يكون نصيبه هو فى المنافع والأرباح نصيب الأسد ، أن لا تكون رتبته فى الجاه والقوة دون الرتبة الأولى ، وأن يشار إليه بالبنان ، ويعد من الطراز الأول .

هذه النزعة الإقليمية والمادية تطغى أحياناً كثيرة على الدين ، وتنمو وتقوى وتشتد على حسابه ، وتمس صلب العقيدة والإيمان ، وتهدم ذلك الحاجز الذى كان يحول دون هذا الصراع الأهلى والطبقى القبلى ، فهذا الدين قد وضع كل هذه النزعات والاتجاهات تحت قدمى « مصالح الأمة الكبرى » هى مصالح الوحدة ، والأخوة ، والعقيدة والإيمان ، والطاعة والانقياد ﴿ **ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة** ﴾ كان الفرد فى هذا المجتمع مسئولا عن أمته وشعبه ، لا عن نفسه وأسرته فحسب ، وكان يولى وحدة الشمل ، وجمع الكلمة ، وتضامن العقيدة والعمل أكبر عنايته واهتمامه ، ويعتبر نفسه مرابطاً على الثغر ، حارساً للأمانة ، مسئولاً أمام الله يوم القيامة عن دوره وواجبه أيا كان صفته ولونه ونطاقه ، و « هويته » . .

وتسعفنا السيرة النبوية فى هذا المكان ، وتنير طريقنا المظلم المسدود فنجد أن هذه النزعات والاتجاهات لا تضر الأمة مادامت فى خطّها المرسوم ونطاقها المعلوم وحدودها الواضحة ، غير باغية ولا عادية ، ولا جائرة أو جارحة ، فالإنسان يحب أسرته ويتمنى خيره ويحب فصيلته وقبيلته ووطنه وجواره ؛ ويحب بيت أمه وأبيه ، ويتغنى به بعض الأحيان وقد تفيض هذه العواطف البريئة ، المشبوبة بالحبّ الظاهرى البرىء على لسانه ، فيكون شعراً رقيقاً رائقاً تطرب له الأسماع ، وكل ذلك مجبول مطبوع ، لا تكلف فيه ولا اصطناع ، بل مطلوب ومرحب به ، وقد تعودت على مثل هذه العواطف الحيوانات الأليفة والطيور ، فما بالك بهذا المخلوق الشريف الذى سجدت له الملائكة **وعلّمه الله ما لم يعلم و ﴿ علّم آدم الأسماء كلها ﴾**[1] .

فإذا استوت كل هذه الجوانب الإنسانية والدوافع الطبيعية تحت السيرة النبوية ، وسارت على هداها وشذاها ونورها ، عرفت نفسها وحقيقتها وأدركت

www.abulhasanalinadwi.org

هذا « السلك الروحى الدقيق » الذى يربط بين فئات متباينة ، ومصالح مختلفة ، وفئات متفرقة ، وتقاليد معاكسة ، وقد يبتعد فيه القريب ، ويقرب فيه البعيد ، وقد يهجر أخ أخاه ، ويواخى غريبا لا عهد له به ، فمقياس النبوة هو الإيمان لا المصالح المادية المشتركة التى تختلف عند كل قوم وفى كل بقعة كاختلاف المناخ والجو ، واختلاف الطبيعة والمواسم والفصول .

إن السيرة النبوية دلتنا على أن الإيمان فوق كل هذه الاعتبارات ، وهو لا يغلب بهذه النزعات والاتجاهات ، بل يتحكم فيها ويملك عنانها ، ويصوبها إلى نحور أعدائه ، وإن نقرأ قول الله تبارك وتعالى فى وصف النبى وأصحابه والثناء على هذه الأخوة التى توثقت بين المهاجرين والأنصار خاصة وبين المؤمنين عامة **﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا .. الآية ﴾** وقوله فى وصف المؤمنين من الصحابة والتابعين **﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾** و **﴿ يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾**

إن ما قام به النبى من التقريب والدمج بين الأنصار والمهاجرين لم يكن – كما يبدو للمطلع على سيرته – مجرد أريحية أو خطوة خيرية ، وتعاونية ، إنما هو أساس كبير لتوحيد أجزاء الأمة العظيمة فى مختلف مسالكها ودروبها وأدوارها ومراحلها عبر التاريخ .

إنه منهج دائم للأمة حين تتشعب المسالك وتتفرق بها العادات واللغات ، والتقاليد ، والأزياء ، وتختلف مصالحها السياسيّة والاقتصاديّة ، فهم – رغم كل الأحوال ، ركاب سفينة واحدة إذا غرقت غرق أهلها جميعاً بجميع لغاتهم وآدابهم ، وحضاراتهم ، وإنتاجهم ، ومحصولاتهم ، وهنالك لا ينفع الزى القومى ، والثروة القومية والنخوة القبلية ، **﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم ﴾** .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

أخوة فى الدم ، أخوة فى الوطن ، أخوة فى الله

بصرف النظر عن كل ما قيل ويقال فى هذا الموضوع إننا نطرح هذا السؤال من جديد على طاولة البحث للمقارنة العادلة النزيهة بين هذه الأنواع الثلاثة من الطاقات البشرية التى تتحكم اليوم فى مصائر الأمم .

إن هناك أخوة فى الدمّ ، وأخوة فى الوطن ، وأخوة فى الله فأيهم أوسع نطاقا وأفسح مجالاً ، وأشمل أطرافاً ؟

وأيهم أكثر ثباتا وأقوى صموداً وأروع جهاداً واستشهاداً ؟

ولنتحاكم إلى التاريخ البعيد والقريب والحاضر الشاحب الكئيب ليقول كلمته العادلة المحايدة ، ولنسمع ما يقول !

إن أخوة الدم والوطن تمثلت خير تمثيل فى التتار والمغول والجنس الآرى والدم النازى والدم الصهيونى ، والدم الفرعونى ، وجاشت هذه الدماء بكل قوتها وفارت وتدفقت وفاضت كالسيل الجارف ، فماذا حدث ؟

أخوة التتار والمغول تلاشت وذابت أمام نور الإسلام الوضاء المشرق ، بعد حكم أو فساد لم يطل عهده وانصهرت فى بوتقة الإسلام ، أما الجنس الآرى فقد أصبح أسطورة فى بعض الأقطار محدودة فى بعضها ، كذلك الدم الفرعونى فقد غرق فى ماء النيل وذاب وغاب ، وما رأينا له عرقا ينبض حتى جاءت الثورة فسمعنا أن له دعاة فى مصر ، أما الدم النازى فمصيره معلوم ، أما الدم اليهودى فقصته مكشوفة يعلمها الجميع ... حتى صار مضرب المثل فى إفساد المجتمعات البشرية ، وتحطيم القيم الخلقية والأقدار الإنسانية النبيلة .

هذه هى قصة أخوة الوطن والدماء باختصار ، وإذا شئت ففصلّها تفصيلا فى أبحاث ودراسات ، ولكن الحقيقة لا تتغير بتغيير الأوراق والملفات .

www.abulhasanalinadwi.org

إنها شهادة التاريخ بكل بساطة وصدق وجراءة ، فما هو حكم العقل والمنطق فى هذه القضية .

أخوة الدماء – بطبيعة الحال – محدودة فى نوع خاص ، وسلالة خاصة وبطن خاص ، إن خرجت منه خرجت ظالمة طامعة لأنها لا تؤمن بغير وضعها وغير دمها ، فهى إما متزمتة تنعق كالضفادع فى ترعتها الصغيرة ، وإما معتدية مستعمرة تحلم فى خيرات الآخرين .

أخوة الوطن والدماء تشب ، طبعاً – على الكراهية والحقد والعدوان فهى تقيم حصاراً أو سواراً حول مواطنها ، ثم تضيف إليها – على أكثر تقدير – سواراً آخر لتضم رقعة جديدة إلى مملكتها .

أخوة الوطن والدماء أخوة محدودة ، ضيقة المعالم والمغانم ، قصيرة الأبعاد والمسافات ، معلومة النبرات والأصوات ، والمواهب والطاقات ، حدودها الصحارى والغابات ، والجبال الراسيات ، والنيل ودجلة والفرات ، فهى محدودة كماً وكيفاً ، وإقليما وعنصراً ، وجنساً وسلالة ، وعرقاً ونسباً ، لا تملك طبيعة الاتصال بالعالم المحيط حولها .

هذا هو حكم العقل السليم فى هذه القضية فماذا يطالب به حاضرنا الكئيب الشاحب للتغلب على هذه المشكلة وحلّ هذه المعضلة التى أعيت الساسة والزعماء والمفكرين والعلماء .

إنّ انقراض الخلافة العثمانية كان نقطة تحول فى حياة العالم الإسلامى ، فمن هنا اتجه المسلمون (سواء فيهم العرب والأفغان والإيران) إلى طريق آخر بدا أول الأمر أنه طريق واسع ، ناجح ، بكر ، جديد ، ولكن اتضح فيما بعد أننا ضللنا الطريق ووصلنا إلى مكان سحيق لا تيسر منه العودة ، إن الثورة على العثمانيين والنقمة عليهم (رغم الأخطاء التى نعترف بها وأسباب الضعف التى لا حاجة إلى ذكرها) كانت بداية مشئومة انحرفت بالعالم الإسلامى عن دربه المستقيم ، إنها انحرفت به عن الأخوة فى الله ، إلى الأخوة فى الوطن والدماء فانعكست الآية ،

www.abulhasanalinadwi.org

وانكمشت الطاقات العربية الجبّارة بطبيعة الحال إلى مواطنها ومعاقلها ، ووراء جدرانها وحيطانها وأغلقت الأبواب دونها ، وأرادت أن تحل هذه المشكلة على الصعيد القومى والجنسى فحسب ، ولم تلبث القضية عند هذا الحد بل نشأت فى مصر الدعوة إلى الفرعونية ، واحياء الحضارات البائدة والحرص على المحلية ثم قام كل بلد عربى يذكر أمجاده وأسلافه ويحاول المحافظة على شخصيته الخاصّة بين شقيقاته ، وهكذا اختلفت الطرق والمسالك والمصالح حتى جاء خامس حزيران ووقعت الواقعة .

إن حاضرنا الكئيب القاسى أبرز علامة استفهام ضخمة للشهامة العربية والعصامية العربية لتحدد آفاقها ومنازلها وحدودها ، وترسم لنفسها خريطة سياسية جديدة تتفق مع طموح هذه الأمة ومدها الجديد ، ولتعلم ما تريد لنفسها ؟

هل تريد مكانة التوجيه والقياده فى عالم الإسلام الواسع الفسيح الذى يزخر بالشعوب المسلمة الكبيرة ، والمواهب والطاقات الهائلة ؟ أم تريد البقاء والاقتناع بالمكاتب والمحلات والعقارات والقصور ودويلات لا تحفل بها الشعوب العالمية والأسرة الدولية .

هل تريد أخوة فى الله تهدم كل هذه الحواجز الصناعية والجدران المنهارة المتداعية ، والحدود الوهمية الخيالية ، ونضع عنها سائر الأغلال والأثقال فى سرعة مدهشة تحيّر الألباب ، فإذا العالم الإسلامى كله كتلة واحدة ، وإذا المسلمون كلهم جند واحد وصفّ مرصوص فى وجه الأعداء أينما كانوا ، فلا مساومة ، ولا خيانة ، ولا مؤامرة ولا نفاق ، ولا تبجح ، ولا غرور ، ولا أنانية ، ولا فردية ، بل الدين كلّه لله .

أم تريد دولا عربية متشتتة الأهواء مختلفة الأهداف والنزعات ، لا تتآلف ولا تتحد حتى فى أحلك الظروف وأدق الساعات ، وتتحمل – ببرودة فائقة – أفظع التهديدات وأنكى الاهانات .

www.abulhasanalinadwi.org

وهل رضى الكرم العربى والخلق العربى ، ورضيت الشهامة العربية ، والنخوة العربية ، والغضبة العربية التى ضربت لها الأمثال ، وعرفتها الهند والسند بأن ترنو كالطفل الشريد إلى عمالقة الإجرام والخيانة والسطو والشطارة فى العالم . وترفع ملف الشكاوى إلى الأمم المتحدة أو مجلس الأمن .. بدلاً من أن تمدّ يدها إلى إخوانها المسلمين – الذين امتزج قلبها بقلبهم وروحها بروحهم ، والذين يعتبرون القضية قضيتهم بحكم الدين والعقيدة والإيمان والأخوة لا بحكم السياسة التى تدور مع الأغراض والأرباح .

إن وضعنا الراهن يا قوم لا يطالب بالسلاح ، إنه يطالب قبل كل شىء بتصحيح الاتجاه .

إنه لا يطالب بالقوة كما يكتب صاحب « العربى » بل إنه يطالب باليد التى ترفع السلاح ، بالعاطفة التى تدفع اليد ، بالقلب الذى يغذى هذه العاطفة ، بالإيمان الذى يستقرّ فى هذا القلب .

إنه يطالب بالاتعاظ بالدروس والمحن ، إنه يطالب بالإيمان العميق ، والفهم الدقيق ، إنه يطالب بالمدّ الروحى والفكرى على أساس الأخوة فى الله ، والفكرة الإسلامية الواضحة .

إنّه لا يطالب بصنع « الإنسان العربى الجديد » الذى تنبأ بولادته واحد من الضباط السوريين[1] فكانت الكارثة ، وأشاد به واحد من الزعماء الثوريين[1] يريد ما هو أدهى وأمر ، بل إنه يطالب بأن نعود إلى الاسلام من جديد ، أن نعود إلى الراية المحمدية ، نعود إلى الأخوة فى الله بدلاً من أخوة الوطن والدماء .

إنه يطالب بالفهم الصحيح للأوضاع ، والحكم النزيه العادل على الأشياء ، والتمييز بين الأصدقاء والأعداء ، والمقارنة بين الخسائر والأرباح ، فالذى يفقد

---

(١) إبراهيم خلاص فى جريدة الشعب .

(١) جمال عبدالناصر فى جريدة « الشباب العربى » .

www.abulhasanalinadwi.org

الشعور ويفقد التمييز قد لا يحسن استعمال القوّة واستعمال السلاح ، والذى يضل طريقه ، وينسى غايته ، وينفصم عن شخصيته ورسالته ودعوته لا يعتمد عليه فى استعمال القوّة ، مادام متنكراً للحقّ ، جاحداً للفضل ، متجافياً عن الصواب . معرضاً عن هدفه الأصيل فى الحياة .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

أقصر طريق إلى أسرع انقلاب

قدمنا فى ندوة الشباب العالمية بالرياض[1] اقتراحاً مهما يتصل بالوضع الاسلامى وحلّه الإيجابى فى العواصم الاوربية ، ولمّا كان لهذا الاقتراح أكثر من معنى وأكثر من مغزى ، ويرجى – إذا تحقق وصار فى حيّز التنفيذ – أن يدرّ بخير كثير ويعود بنفع كبير على الجاليات الاسلامية فى الغرب وعلى الشباب الجامعى المثقف الذى يدرس فى جامعاته ومعاهده العلمية ، والذى يتولّى غداً قيادة العالم العربى ويوجهه حيثما شاء ، رأيت أن أنقل هذا الاقتراح من جو هذه الندوة العالمية المباركة إلى أجواء العالم الإسلامى الواسعة الفسيحة ، وأقدمه إلى كل من يسعى لتصحيح مسيرة العالم العربى والعالم الاسلامى ، ويحرص على تحويل اتجاهه من الشر إلى الخير ، ومن الظلام إلى النور فى أقصر وقت وأقل جهد ويتمنى أن يرى بوادر الخير ، وبشائر النصر بأبصاره ، ويجنى فواكهه وثماره ، ويقرّ عينا بعودة الإسلام ظافراً منتصراً ، فرحاً متهللا ، من غمار المعركة الضارية ، حيث طاشت العقول ، وزاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وانقل هنا أولا ما قدمت فى تلك الندوة أمام صفوة كريمة من الشباب المسلم فى العالم ثم أتبعه بإذن الله بالدعوة إلى دراسة هذا الاقتراح دراسة هادفة بناءة نظراً إلى ما يعانى منه أبناؤنا المغتربون ، من ظروف صعبة ، فى بيئات عفنة بلغ فيها التعفن كل مبلغ ، تحت حكومات متآمرة تراقب الشباب المسلم حينما يهبط عاصمة أوربية وأميركية إلى أن يفارقها بعد إكمال دراسته ، فتزوده بكل ما يفسد ، ويخرب ويدمر ، ويأكل رجولته وإيمانه وشرفه وغيرته ، فإذا عاد إلى بلاده عاد بعقلية الغرب ، عاد وقد تعلم فنون التهتك والخلاعة والخروج على المبادىء والآداب والقيم أكثر ممّا تعلم

---

(١) ندوة الشباب العالمية التى انعقدت بالرياض على دعوة من وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية فى أواخر ديسمبر ١٩٧٢ م وألقيت فيها كلمة تضمنت هذا الاقتراح وغيره من المقترحات .

www.abulhasanalinadwi.org

نظم الغرب وإدارته ، وجهده ، وأصالته وابتكاره ، وهمته وطموحه ، وإذا صار حاكماً ومسئولا تحكم كالغربى لا يفرقه منه إلا اللغة والاسماء الإسلامية ، وهذه طامة كبرى ومصيبة عظمى ، لابدّ أن نتدارسها فيما بيننا ونفكر فى حلّها بطرق عملية واضحة ، ومنهاج عملية تربوية تنقذ جيلنا من هذا الترف والتشرد والضياع ، وأن نحبط مؤامرات الأعداء بما فتح الله علينا من ذكاء عملى ، واخلاص فى الجهد ، ورغبة فى الخير ، وموارد فى متناول اليد .

وإليكـــم هـــذا الاقتراح :

العناية بالشباب المغترب ، الشباب الذى يدرس الآن فى بلدان أمريكا وأوربا ليتولى – غداً – مقاليد الحكم ، ومناصب القيادة ويشغل المراكز الحساسة فى العالم الإسلامى ، فهو أمانة كبيرة فى أعناقنا ، وخزان ماء كبير نستطيع أن نحوله باستعمال بعض الذكاء وبعض الوسائل ، وبعض الإخلاص والجهد والعمل إلى طاقة مولدة للكهرباء تنور العالم الاسلامى كله فى أقرب مدة يتصورها العقل إن شاء الله .

ويجب لذلك كخطوة أولى تنظيم لقاءات بين الشباب المؤمن فى عواصم الإلحاد والفساد وبين شباب مؤمن فى مختلف أقطار العالم الإسلامى على أن تكون هذه اللقاءات بصفة شعبية وأخوية أكثر من رسمية أو شكلية فذلك أنفع فى التعارف واللقاء وأجلب للخير ، وإلقاء محاضرات إسلامية تساعدهم وتقويهم على مواجهة تحديات بلادهم بلاد الفاحشة والاغراء والتلف والضياع ، وتبديد الطاقات والقوى ، ونحن نحتاج فى ذلك إلى الاستعانة بسلاح الإيمان قبل سلاح العلم وبسلاح الحب قبل سلاح المنطق والبرهان .

تزويد الشباب المسلم فى كل مكان بمكتبة إسلامية كاملة ومؤلّفات الكتّاب الإسلاميين المعروفين تعيد الثقة إلى نفسه وتنشىء فيه الاعتزاز بدينه ، وتحدث فيه الكراهية للكفر بجميع ألوانه وأساليبه ، وأشكاله وصوره ، ومقت الجاهلية بأى قميص تقمصت ، وبأى لغة تكلمت .

www.abulhasanalinadwi.org

إنشاء بيوت للسكنى والإقامة لهؤلاء الشباب فى مختلف العواصم الغربية تحتوى على مسجد ومكتبة ، وقاعة للمحاضرات والندوات ، واللقاءات على أن تكون هذه الدور مزودة منورة بوسائل وأدوات تغذى العقل والقلب ، وتقوى الجسم والروح ، وتربى الشباب على الطاعة والإيمان والحبّ ، وكراهية الكفر والفساد ، وبالاختصار على الحبّ فى الله والبغض لله ، فهذه الدور **ستكون إن شاء الله بمثابة قلاع متينة للإسلام يأوى إليها الطالب بعد أن نال نصيبه من العلم ليجدد صلته بالله ، وهدفه فى هذه الحياة** ويعرف موقفه ومكانته فى خريطة العالم ودوره المنتظر الرائع فى العالم الإسلامى .

إنّ إنشاء مساكن للطلبة فى هذه البلاد لا يعنى مجرد بيوت مخصصة للإيجار بل يجب إعدادها إعداداً كاملاً من ناحية الدعوة والتربية والتوجيه والأخلاق والسلوك ولذلك اقترح أن تحتوى تلك المساكن على مسجد لأداء الصلوات ، وقاعة للمحاضرات والندوات ومكتبة للدراسات والمطالعات وملعب صغير للرياضة البدنية وبقالة تعاونية للحصول على الأكل الحلال والطيبات من الرزق يعود ربحها على هذه المساكن ، ويكون كل ذلك تحت إشراف دعاة ومربين ومشرفين اجتماعيين يسوقون الشباب إلى أهدافهم الإسلامية فى صمت وهدوء وحكمة وفقه ، ومن غير تشديد كثير عليهم وضغط كبير على عقولهم وقلوبهم وميولهم ، ويجب على هؤلاء الدعاة والمشرفين أن يكونوا جامعين بين العلم والإيمان والنظرية والتطبيق ، وأن يحاولوا إثارة الغيرة والحمية ومقت الجاهلية بجميع أنواعها والحرص على انقاذ الانسانية من هلاكها وشقائها ويعلّموا أبناءهم أن أوربا جرت وبالا على الإنسانية وأن العالم خسر خسائر فادحة لا تعوض فى عهد استيلائها على العالم واحتلالها الشعوب والأمم .

إن إنشاء مثل هذه المبانى والمساكن الطلابية فى مختلف المدن الغربية الكبيرة يكلف نفقات هائلة ما فى ذلك من شك ولكن يجب على الحكومات الإسلامية أن تتحمل هذه النفقات لأول مرة نظراً إلى تلك الفوائد الكثيرة المرجوة ، ثم تكتفى

www.abulhasanalinadwi.org

هذه المساكن بنفسها ، وتنفق على ترميمها وإصلاحها وتوسعتها بالإيجار ودخل الجمعيات التعاونية .

هذا اقتراح خطير عملي نقدمه إلى المسئولين وحكام المسلمين فى البلاد العربية الإسلامية ليتأملوا فيه فإن جهد خمس أو عشر سنين على هذا المنوال وبتصميم وعزم قد يغير مجرى الأحداث فى هذه المنطقة ويحدث فيها تحولاً مباركا لا يتأتى بمجهود عقود من السنين بطرق إصلاحية أخرى مادامت الطبقة الحاكمة التى تنتجها « مصانع الغرب » متغربة متفرنجة ، منسلخة عن شخصيتها ودعوتها ورسالتها .

إنّ التركيز على هذه الناحية المهمة يفيدنا فى كافة المجالات الادارية والاقتصادية والتربوية والفنية ، فالى جانب وجود شباب مسلم على رأس هذه الدوائر والمصالح ، إنه ينفع الحكومات الإسلاميّة من ناحية الكفاءات والمؤهلات الفنية أيضاً .

إنّ الشباب المسلم الذى يسافر إلى الغرب لا يجد مكانا كريما ينزل فيه فيعيش فى جوّ فاسد سواء فى الجامعة وخارجها ، لأن الحصول على المنازل مشكله فوجود مثل هذه المساكن يرغبه فى استئجارها من وجهة النظر الاقتصادية أيضا ثم يجره – تدريجياً – إلى الإسلام ثم يربيه – برفق وحكمة – على معانيه الكريمة وأهدافه السامية ، وسلوكه القويم – وخلقه العظيم .

إننا أنفقنا كثيراً على المشاريع والمساعدات والبرامج الانمائية فلنجرب الآن هذا الطريق المختصر (SHORTCUT) الذى لا يحتاج إلى مثل هذا الجهد ومثل هذا المال ، وإنما هو يحتاج إلى تصميم وتخطيط ، وتطبيق وتنفيذ وعناية ورعاية، وروح التضامن والأخوة ، وإننى أدعو المملكة العربية السعودية بوجه خاص أن تتبنى هذه الفكرة العظيمة كما تبنت مشروعات إسلامية نافعة من قبل ، فذلك يحلّ مشكلة صيانة الأخلاق والآداب فى الشباب ، وتفتح بابا كبيراً جديدا للخير والنور والأمل ، ويمكن التعاون فى ايجاد هذا الجوّ الإسلامى بالمنظمات الاسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

الطلابية هناك التى لا تعمل بوحى دولة من الدول بل إنما تعمل بدافع من نفسها وبجدية ونظام وأخوة ، كما أننى أدعو حكومات ليبيا والكويت وإمارات الخليج العربى أن تدرس هذه الفكرة ، وأن تعدّ برنامجاً عمليا بالاشتراك مع السعودية ، فإن هذا الأمر فوق الشكليات والرسميات ، والمصالح والأغراض ، وإنما المهمّ هو الاقتناع بالفكرة والتحمس لها والسعى لتنفيذها وإخراجها إلى حيّز الوجود ، وأخيراً أدعو حملة الأقلام والكتاب الاسلاميين والمعنيين بقضايا المسلمين أن يجعلوا هذه الفكرة موضع عنايتهم ودراستهم وأن تفتح الجرائد الاسلامية صدور صفحاتها للبحث فيها ومناقشتها لمزيد من التفصيل والشرح والتحليل ، فإنما هى إشارات عابرة سريعة تلقى بعض الضوء على باب كبير للخير لم نذقه حتى الآن وتدلنا على أقصر طريق إلى أسرع انقلاب فى العالم الإسلامى .

إن المسئولية لتقع أولا وبطبيعة الحال على وزارات التربية والأوقاف والشئون الدينية فى العالم الإسلامى بأن تؤدى واجبها الضخم بإعداد هذا المشروع الإسلامى الضخم مهما بلغت التكاليف مادامت الأرباح مضمونة متوفرة ومادامت النتائج سارة مبشرة بإذن الله ، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ، وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وسلّم .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

مشـــكلة كبرى وحـــل أكـــبر

هناك مشكلة كبيرة فى العالم العربى ، إنها مشكلة الزيت !

كان المتوقع أن يكون هذا الزيت سلاحاً فى أيدى العرب ، وأن يجعل هذا الزيت من الأمّة العربيّة الضعيفة الفقيرة ، أمة مرهوبة الجانب ، موفورة العزة ، مرفوعة الهامة ، مسموعة الكلمة ، ولكنّه وبالعكس – مع الأسف الشديد – أضعف أمة العرب ، وكلّما زادت البراميل كثرت العراقيل !

إنّ هذا الينبوع الفياض الثّرى من القوة المحرّكة للحياة ، الدافع بعجلة الصناعة إلى الأمام صار اليوم سبباً كبيراً من أسباب الانهيار والانحسار فى هذه المنطقة .

فكّروا كيف صار الخير شراً والحلو مراً وكيف انعكست الآية وانقلبت الحقائق رأساً على عقب ؟

هل الذنب فى ذلك يعود إلى ضغوط سياسة عالمية أو إلى صراع داخلى قيادى ، أو إلى ارتجالية وتهور ، أو إلى سياسة الاستسلام والانهزام .

كلا ! إن أيًّا من هذه الأسباب لم تخلق هذه الأوضاع .

السبب الوحيد هو فقدان القناعة وفقدان الاستثمار ، القناعة فيما يتعلّق بذواتنا واستثمار أموالنا فى مصالح الإسلام والمسلمين على نطاق أوسع وبتصميم أدقّ ، لا تخافوا بأن القناعة أصبحت كلمة قديمة فنحن لا نستطيع أن نستغنى عنه رغم كل البلى والقدم كما لا نستطيع أن نستغنى عن ضوء الشمس ، بل إن حاجتنا إليها فى هذه الأيّام أشدّ .

الحلّ ليس فى توفير الأموال وكسبها وجمعها وادخارها ، فانه كماء البحر المالح لا يزيد الشاوب إلا ظمأً وعطشاً ، إنما الحلّ فى القناعة فيها !

أما نحن فقد غيّرنا المحلّ ، وأصبحنا قانعين باليسير فى أمر الدين ، طامعين

www.abulhasanalinadwi.org

فى الكثير من الدنيا ، قانعين بالدون فيما يهمّ الإسلام والمسلمين ، طامعين فى التوفير لأنفسنا وأولادنا وكمالياتنا وزيناتنا .

وأصبح ميدان الاستثمار هو البيوت وأصبح ميدان القناعة مصلحة المسلمين ولو كان الاستثمار قائما على الحقّ والصواب ، ما ضاعت مصلحة من مصالح الأمّة ووجدت حظّها من العناية والاهتمام ، ولو كانت القناعة موجودة إلى أقصر الحدود لما كان هذا الانحلال والتفسخ والفوضى .

إنّ مصيبتنا فى هذه الأوضاع لا تنكشف بكثرة القيل والقال أو بتوفير الأموال أو بالحياة الرتيبة المرسومة والمطامح المادية المعلومة إنما هى تنكشف بالطريقة الإيمانية البنّاءة بالتطوير العام ، بتصحيح الأوضاع بحذافيرها ، واصلاح ما فسد من غير رحمة ولا هوادة ، بالطريق الذى سار عليه الأوّلون ، وبالحياة التى عاشها المؤمنون الراشدون فى كل جيل ، فاكرمهم الله بالنصر والغلبة والازدهار وألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب .

ويحلو لى أن أنقل هنا ماكتب شيخنا الندوى عن الهند فى عهد الإنجليز وهو يتحدث عن جهاد السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (م ١٢٤٦ هـ) فى كتابه الجديد « إذا هبت ريح الإيمان » فهو ينطبق على الوضع الراهن فى العالم الإسلامى المعاصر .

« بدأ المسلمون فى الهند على مرّ الأيام يتجردون عن صفات الفروسية ، وأخلاق الأمم الفاتحة التى امتازوا بها فى الماضى ، وفتحوا هذه البلاد الواسعة بجيش قليل وعدد ضئيل ، وفشت فيهم الرخاوة والرقّة ، وأخلدوا إلى الراحة والتنعّم ، وضعفت فيهم الحمية الاسلامية ، والغيرة الدينية ، فكان الثعبان الانجليزى يبتلع بلاد المسلمين بلداً بعد بلدٍ ، وقطعة بعد قطعة ، وهم منغمسون فى شهواتهم ، عاكفون على لذاتهم ، لا يحرك ذلك منهم ساكناً ، ولا يقض مضجعاً ، وتفاقم هذا الداء ، حتى بدأوا ينظرون إلى حياة الفروسية ، وخلال الفتوة وإلى السلاح وعدة الحرب بعين الاحتقار والازدراء ، ويعتبرونها شعاراً للجهال والأجلاف ، ورعاع الناس ويعتقدون أن ذلك لا يجتمع مع العلم ، والعبادة والوقار .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان السيّد قد ملكته فكرة الجهاد فى سبيل الله وتحرير بلاد المسلمين من المغتصبين واعلاء كلمة الله ، وإعادة مجد الإسلام ، واستولت على مشاعره وأعصابه ، وأصبحت له الشغل الشاغل ، والهم الوحيد ، فكان أكثر حديثه عنه ، وأكبر اهتمامه به ، وأعظم اعتنائه بما يعينه على ذلك .

وشغف بالتربية الحربيّة ، والرياضات البدنيّة منذ ريعان الصبا ، كان أكثر لعبه وتسليته بالمعارك الحربية التى يقيمها مع أقرانه وأترابه من غلمان قريته ، وشباب عشيرته ، ودخل فى سنة ١٢٢٧ هـ فى جيش القائد المسلم الشهير مير نواب خان مؤسّس إمارة « تونك » الإسلامية . وخاض معه فى حروب دامية ، ومعارك فاصلة ، ورافقه فى مغامراته ليتمرّن على الحرب ، وعلى قيادة الجيوش ، وليحقّق بها أمنيته اللذيذة العزيزة ، وهى إجلاء الغاصبين ، وإقامة حكومة إسلامية شرعية ، ولم يفارقه إلاّ حين صالح القائد الإنجليز ، وقبل أن يكون أميراً فى منطقة صغيرة .

وقد أثرت هذه الرغبة ، وهذا الذوق الذى غلب على كل ذوق فى أصحابه ورفاقه وسرى فيهم ، فتحولت القرية الهادئة – التى لم تعرف فى الأيام الماضية إلاّ العبادة ، والذكر والتسبيح – إلى ثكنة ، ومركز تربية حربية ، فلا ترى فيها إلا التمرن على الرمى وإطلاق النار ، والمسابقة فى أنواع الفروسية وما ينفع فى الحرب ، يساهم فيها العلماء ، والأساتذة الكبار ، وأبناء البيوتات الشريفة ، وكبار الأغنياء ، والجهّال والأمّيّون ، والشباب والكهول ، وكبر ذلك على بعض العلماء والعباد الذين قصدوه من أنحاء بعيدة . لينصرفوا إلى حياة الزهد والعبادة ، والانزواء والتبتّل ، وحنوا إلى العهد السابق حين كنت لا تسمع إلاّ دويّاً كدوىّ النحل ، وأزيزاً كأزيز المرجل ، وكلموه ولكنه لم يجب طلبهم ، وأفهمهم أن ذلك أفضل ، وأن المسلمين إلى ذلك أحوج ، وذكر لهم ما ورد فى فضل الرباط فى

www.abulhasanalinadwi.org

سبيل الله وعين تحرس[1] وقدم تغبر فى الجهاد[2] ، فانتنوا وإخوانهم فى الاستعداد للجهاد [3] .

ولما زار السيد « لكناؤ » فى سنة ١٢٣٤ هـ وعليه سلاحه ، قال له أحد الضباط الكبار ، وهو عبدالباقى خان ، يا سيّدى ! إن كلّ أمرك حسن جميل ، إلاّ شيئا واحداً تلازمه ، إن ذلك لم يفعله أحد من أجدادك الكرام ، وأنت من بيت دين وصلاح ، ومشيخة وعلماء ، وكان يجمل بك أن تقلدهم فى زيّهم وشعارهم وأساليب حياتهم ، ولا تأتى بشىء جديد ، ولا تفعل ما لم يفعلوه .

قال السيّد ماهو ذاك يا شيخ عبدالباقى خان !؟

قال الضابط ، هذا السلاح الذى تلازمه وتخرج فيه دائما ، إنه شعار الجهال الأجلاف ، إنه لا يجمل بك ، ولا يليق .

واحمرّ وجه السيّد غضباً ، ورؤيت الكراهة فى وجهه ، ولكنّه ملك نفسه وقال : سامحك الله أيها الضابط الكبير ، فما أصبت القول ، وما هديت إلى الرشد ، وحسبك فى هذه الساعة ، أن هذه هى أسباب الخير التى أكرم الله بها أنبياء ليقاتلوا بها الكفّار والمشركين ، وكان لنبيّنا ﷺ منها النصيب الأكبر ، والقسط الأوفر ، وظهر الإسلام على كل دين ، وانتصر الحق على الباطل ، والعدل على الظلم ، وأنت أباؤك مدينون لهذا الجهاد أيضاً ، فمن يدرى فى أىّ دين كنت أنت وآباؤك ، لولا قيام المسلمين فى القرون الأولى بالدعوة والجهاد ، وماذا كان مصيرك ؟! وسكت الضابط الكبير ، وأطرق رأسه حياءً .

---

(١) روى الترمذى عن ابن عباس مرفوعا : عينان لا تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله .

(٢) روى البخارى والترمذى والنسائى عن أبى عبس مرفوعا : ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار .

(٣) إقرأ ما دار من حديث بين الإمام السيد أحمد الشهيد ، وبين الشيخ محمد يوسف البهلتى من كبار علماء وعباد جماعته ، فى « سيرة سيد أحمد الشهيد » .

www.abulhasanalinadwi.org

وكان كلما رأى شاباً قوى العضلات مفتول الذراعين تبدو على وجهه مخايل الفتوة والشهامة ، فرح واستبشر ، وتلقاه بالترحيب ، وأنزله منه منزلاً خاصاً ، لأنه يرى فيه الغناء فى الجهاد .

زاره أربعة فتيان من قرية قريبة ، ذوو قامات فارعة ، وأبدان قويّة ، فهشّ لهم وبسط لهم وجهه ، ورفع منزلتهم ، وقال : هؤلاء أحب الىّ من أبناء المشايخ ، والشباب المتنعّمين ، فغناؤهم قليل فى ميدان الجهاد ، ومعترك الحرب ، أما هؤلاء فيستطيعون أن ينصروا الإسلام ويكتووا بنار الحرب .

وتعجب هؤلاء ، وكانوا فى الجيش يتقاضون رواتب زهيدة ، ولم يكونوا على شيء من العلم والثقافة ، ولم يكونوا يتوقعون هذه الحفاوة . والإكرام البالغ ، فأحبوا السيد ولزموه ، ورافقوه فى الهجرة والجهاد ، فمنهم من أكرمه الله بالشهادة ، ومنهم من طالت به الحياة ، فعاش على الدين والصلاح ، والنصح للإسلام والمسلمين والسعى لإعلاء كلمة الدين » .

إن هذا الحلّ الذى قام به الإمام والذى شرحه المؤلف شرحاً وافياً جميلاً فى كتابه الرائق الجديد هو الحلّ الوحيد لقضية المسلمين ، وهو مفتاح ذلك القفل الذى أعمي فتحه السادة والقادة والزعماء ، فخارت قواهم وانهارت أعصابهم ، وأصبحوا لا يملكون من السيطرة على نفوسهم والسيطرة على شعوبهم ما يؤهلهم للقيام بهذا الدور الكبير ، وفى هذه القبسات من جهاد الإمام ما يلقى الضوء على هذه المشكلة الكبرى ويقدم حلّها الإيجابى ونحن نزفّها إلى شعوبنا المسلمة لتبصر فيها طريقها إلى النور والحياة والهداية والقيادة والله الموفّق .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

صـــراع الرفـض والقبـــول

نحن نرفض الحضارة الغربية مبدئيا ونظرياً ، ونتساقط عليها كالذباب ماديا وعمليا .

وتلك هى قصة الكثرة الكاثرة فى الشعوب المسلمة المعاصرة ، والحقيقة السائدة فى أكثر أجزاء العالم الإسلامى باختلاف يسير فى المستوى ، واللون ، والطراز ، والملامح والقسمات .

والحالة الناشئة من هذا الوضع المتناقض غير الطبيعى هو صراع داخلى بين المثاليّة الإسلامية السامية ، والواقع السيء المضاد ، صراع عنيف دقيق تتلاحم فيه الموجات والاتجاهات . ويمتزج فيه الاضطراب بالهدوء ، والإيمان بالشك ، والثبات بالزلل ، والإقدام بالإحجام ، والمخاوف والآلام بالآمال والأحلام .

إنه شأن إنسان لم يبت فى قضية حياته ومصيره بعد ، فظل حائراً فى أمره ، يدور فى حلقة مفرغة لا نهاية لها .

المسلم المعاصر لم يقطع صلته – والحمد الله – بالنبوة المحمدية الخالدة ورسالتها الباقية ، وقيادتها الدائمة ، ولم يقطع صلته بالبيت والحرم والزمزم ، فينسجم مع الحضارة الغربية – بفلسفاتها وآدابها وسخافاتها – كل الانسجام ، ثم لا يفكر فى العودة إلى معتقداته ومقدساته مرة ثانية ، وينتهى صراعه الدائر فى النفس ... ويطمئن إلى حياته الجديدة وقيمه الجديدة كل الاطمئنان .

وإنه أيضا لم يقطع صلته بالحضارة الغربية وفلسفاتها وآدابها وسخافاتها فينسجم مع الفكر الاسلامى والروح الإسلامية كل الانسجام ويكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أحدنا أن يلقى فى النار ، وينتهى صراعه الفكرى بطبيعة الحال ويطمئن إلى حياته الجديدة وأقداره الجديدة ، ويحبها ويتفانى فى سبيلها ، ويرى فيها غذاء الروح ودواء القلب وراحة الضمير ، ويجد فيها عوضاً عن كل فائت ومدداً لكل خسارة ونقصان .

www.abulhasanalinadwi.org

إنه وضع شاذ وغير طبيعى وغير لائق بالبقاء وضع يحول دون تقدم العالم الإسلامى والمسلم المعاصر فى مضمار الحياة بحرية وقوة ، وثقة واعتزاز ، وطرب واهتزاز ، كما تقدم أسلافه الأولون الذين أخلصوا دينهم لله ، وساقهم حادى الشوق وبعثهم روائح الجنة حتى قال بعضهم :

« واطرباه غداً ألاقى الأحبة محمداً ﷺ وحزبه » .

وقال بعضهم :

« فزت ورب الكعبـة » .

وقال بعضهم :

« إنى لأجد ريح الجنة من دون أحد » .

وقال أحدهم وقد أقبل على الشهادة والموت فى سبيل الله – لقائد المسلمين أبى عبيدة رضى الله عنه – وهو فى غاية الثقة والدلائل والطمأنينة والرضا :

« إنى قد تهيأت لأمرى ، أى للشهادة ، فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ قال أبو عبيدة : نعم ! تقرئه عنى السلام وتقول يا رسول الله ﷺ إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً » .

ومن أجل ذلك أرى أن هذا الصراع الدائر فى الأفكار ، وازدواجية العواطف والاتجاهات هو العائق الأكبر دون بروز العالم الإسلامى الحقيقى ، المستقل الأصيل ، الحىّ ، النابض ، فى حيّز الوجود ... وعلى القيادة العالمية .

وإذا أراد العالم الإسلامى أن يلعب دوره الكبير المأمول فى هذا القرن فعليه أن يخرج من دائرة هذا الصراع النفسى الرهيب ، وحلقة الفوضى الفكرية والتناقضات الوجدانية ، والعواطف المعاكسة ، والاتجاهات المضادة .

أجل . عليه أن يخرج من هذه الظلمات المتراكمة إلى نور الإسلام ، إلى الهدى الربانى ، والتوفيق الالهى ، والأمن العاطفى ، والجذل الروحى ،

www.abulhasanalinadwi.org

والإخلاص الكامل لله فى جميع مجالات التقدم والعمران والبناء ، والتربية والتوجيه .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ﴾

﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾

﴿ حنفاء غير مشركين به ﴾

﴿ وما أمروا ألاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾

« إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله ، وقد هدان »

وذلك تمام الإيمان الذى يحتاج إليه المسلم فى هذا الزمان !

عليه أن يحدد هدفه بدقة ووضوح ، ويتخذ الطريق إليه بروية وتعقل ، ويتقدم فى هذا الطريق بخطى ثابتة واثقة لا تتزعزع ، وهمة عالية لا تلين ، وعاطفة إيمانية لا تخمد .

والمعلوم أننا مازلنا فى الشوط الأول وهو تحديد الهدف والاتجاه والمسيرة بغاية الدقة والوضوح والثقة والإيمان .

لقد أثبت العالم الإسلامى فى حرب بترول أنه حقيقة لا تنكر ، وقوة لا يستهان بها بين القوى العالمية المتصارعة .. وأنه يملك رصيداً من الروية والتعقل والرزانة ، والهمة والمقاومة يؤهلها لمثل هذه المغامرة العالمية ، وفرض وجوده رغم أنف الأعداء .

وأن البلاد العربية المؤمنة بوجه خاص وقيادتها الواعية بوجه أخص قامت بمواقف محمودة تتسم بالشجاعة والرزانة والطموح واستحقت عليها ثناء العالم كله وإعجاب السياسة الدولية وتقديرها ، وتأييد المسلمين أجمعين ومؤازرتهم .

ومع ذلك فالنقطة الهامة الأولية مازالت تنتظر انتباهاً واسعاً واهتماما بالغاً فى

www.abulhasanalinadwi.org

العالم الإسلامى على الصعيدين الشعبى والرسمى ، وهى أن تقف هذه الجموع البشرية الغفيرة التى لا تربطها غير العقيدة والإيمان ، والغاية والمسير ، وقفة رجل واحد لا مشاكسة فيه ، لهدف واحد لا شبهة فيه ، ولا غبار عليه .

﴿ ضرب الله مثلا رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ .

هنالك تنطلق مسيرتنا الكبرى على درب التاريخ لا تحول دونها صخرة ، ولا يعوق سيرها جبل ، ولا يقف فى طريقها بحر ، ولا يقوم فى وجهها شعب ، ولا تردّها عن هدفها المنشود ، القوى الباغية كلها ولو كانت بعضها لبعض ظهيراً .

شأن أسلافنا الذين فتحوا خزائن كسرى وقيصر ، واتخذوا الدعوة شعارهم . والإيمان رائدهم ، والشهادة أسمى أمانيهم ، وآمنوا بأن الله ناصر عبده ، ومنجز وعده وهازم الأحزاب وحده ، هنالك ركبت خيول المسلمين على متن الأمواج الثائرة – كما شهد به التاريخ – حتى وصلت إلى البر بسلامة وأمان ، وجرت سفن محمد فاتح على البر كما تمشي فى البحر حتى وصلت أسوار القسطنطينية وتحقق ما لم يكن بالحسبان ، وكان أغرب حادث سجله تاريخ الحروب وتاريخ الهمة وقوة الإرادة ، والإيمان واليقين ، والتضحية والفداء .

إنها قوة الهدف ، وشتان مابين هدف المؤمن وهدف الكافر . وفى القرآن القول الفصل :

﴿ ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون ، كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون ﴾

إنه هدف أمة اشتهت الموت فى سبيل الله أكثر مما اشتهى الروم والفرس الخمر والنساء .

وذلك لا يتحقق – يا أمة السيادة ومنقذى الإنسانية ورجال الغد – بهذا الصراع الدائر فى نفوس الشباب ، بالإيمان النظرى الحالم والواقع الموجود المؤلم ،

www.abulhasanalinadwi.org

بالكتاب الخالد المعجز الذى نقرؤه والحياة المتحررة الرخيصة التى نحياها ، بالمسجد القديم الذى نركع فيه أمام الله ، وبالجامعة العصرية التى نؤسسها على مبادىء مستوردة ومناهج غربية وأسس علمانية ونزعات قومية ، بالمنبر الذى نعلو عليه بالموعظة الرقيقة والكلمة البليغة ، والبيت الذى نتحرر فيه عن كثير من الالتزامات والمسئوليات والقيود .

إن ذلك لا يتحقّق بنصف الإيمان ، ونصف الإنكار ولو لم يكن باللسان ولكنه يمكن مع الضعف فى الإيمان .

﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ﴾

﴿ وخلق الانسان ضعيفاً ﴾

وإنه لا يمكن بالإيمان الخليط مع التمرد والثورة ، أو الاساءة والازدراء ، والاستخفاف بشعائر الله ، ومحاربة الدعاة إلى الله ، والتظرف بالجاهلية وأهلها والاعجاب بهم وتقليدهم واتباعهم عن شعور ومن غير شعور ، والظن بأن الإسلام لا رسالة له فى هذا الزمان ولا شأن له فى بناء المجتمع ، وتطوير المعيشة ، والنهضة الصناعية ، والشئون السياسية ، والمعاملات المصرفيّة والتجارية والعلاقات الدولية .. وأن « التقدم المالى والآلى » حسنة تغفر كل ذنب ، وتمسح كل عيب ، وتملأ كل ثغرة ، وتعوض عن كل خسارة ، وتسد كل فراغ ، وهو الشرط الكافى لنجاح المرء ولو كان ذلك على حساب الدين والأخلاق وعلى حساب الدعوة الإسلامية ومسيرتها ، ومد التاريخ الإسلامى وفتوحه ونشر نور الإسلام فى شعوب فقيرة ساذجة فى أفريقيا أو شعوب غنية مغرورة فى عواصم أمريكا ، وربما حاجة الأخيرة إلى هذا النور أشد ، وضرر حرمانها منه أكثر ، لأنها وقفت موقف الحاسد المعاند لهذا النور ، ومارقها حتى مد الإسلام الأخير القصير فى تركيا فاتخذت لمنعه كل حيلة ، وقامت له بكل مؤامرة ، ولاتزال له بالمرصاد .

www.abulhasanalinadwi.org

لأنها تخاف منها انتفاضة إيمانية جديدة قد تعيد عجلة التاريخ وقد تفرض شخصيتها الإسلامية على مجرى الأحداث .

إن الفوز فى حلبة القيادة والمسرح السياسى الذى يعتليه اليوم كل شعب قوى وبلد كبير ليس بالأمر الهيّن .

إنها ليست مباراة كرة بين فريقين أو مساجلة كلامية بين مرشحين .

إنها قضية يرتبط بها مصير الإنسانية كلها ومصير العالم الاسلامى ذاته ، إنها ليست معركة سلاح ونفط فحسب ، إنها معركة أفكار وفلسفات ، وأقدار وقيم ، وغايات وأهداف ، ودوافع وحوافز ، وعواطف ومشاعر .

إنها معركة قلوب غزيت ، وعقول أسرت ، وأرواح استعمرت وأجيال واقفة على أعتاب الغرب لا تزال ترى فيه القدوة والامامة ، والزعامة والقيادة ، والنجاح ، والفلاح .

وإننا لن نفوز فى هذه المعركة ولن نخرج من دائرة هذا الصراع الخبيث إلاّ بالإسلام وجوهنا لهذا الدين الكامل الأخير ، وإخلاصنا له ، ووفاؤنا به ، وثباتنا عليه فكراً وعملاً ، وكماً وكيفاً ، وشعباً ودولة ! وعندنا بشارة خصنا الله بها دون الديانات الأخرى والشعوب الأخرى ، وهى الآية التى نزلت يوم عرفة فى حجة الوداع ، ولم ينزل بعدها – كما تقول أكثر الآثار – حلال ولا حرام .

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ .

وهى بشارة عظيمة قال عنها علماء اليهود : لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً .

إننا لن نفوز فى هذه المعركة الدائرة إلا بكراهيتنا للأنظمة الجاهلية بسائر مظاهرها وشعاراتها ، وملامحها وسماتها ، والثورة عليها ، والفرار منها كما يفرّ أحدنا

www.abulhasanalinadwi.org

من الكوليرا ، والشعور بجنايتها على الإنسانية بتحويل اتجاهها من الخير إلى الشر ومن الإسلام إلى الجاهلية ، ومن عبادة الله إلى عبادة الإنسان ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جنتها إلى جحيمها .

بهذا الالتقاء المبارك بين السلب والايجاب كما تلتقى أسلاك الكهرباء السالبة والموجبة يستطيع العالم الإسلامى أن يفجرّ سيلا من النور ويعرف « شخصيته المجهولة » التى طال عهده بها ، و « عالمه الضائع المفقود » الذى طال انتظار الانسانية له . ويحتل « منصبه اللائق على عرش القيادة وهداية الإنسانية الحائرة » الذى ظلّ شاغراً منذ قرون وسوف لا يفوز به الآن – بإذن الله – إلا المسلمون .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

دعـوا الأسد يستيقظ

إنّ فى أمتنا أبطالا وفتيانا لا يبالون بالموت ، ويستطيعون أن يأتوا بالعجائب ، ويحققوا فى أيام وأسابيع ما لا تحققه الحكومات والعساكر والجنود فى شهور وأعوام ، وإن الأمة العربية المؤمنة بوجه خاص لم تزل ولوداً ناتقا تقدم إلى أجيالها أبناءً بررة ، وشبابا أكفاء وفتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدى ولديها رصيد لكل جدب فكرى ، ومدد لكل وقت عصيب ، رصيد ضخم من إيمان قوى عميق تغلغل فى أحشائها واستقر فى سويدائها ، وخزان هائل من الحبّ والعاطفة ، والولاء والوفاء ، والتضحية والفداء ، تقدر به التغلب على جميع أزماتها ومحنها ، وفض جميع مشكلاتها ومعضلاتها .

وهؤلاء الفتيان الشجعان لا يبغون السلاح ، ولا يبغون المال ، ولا يبغون كراسى الحكم وعرش القيادة ، إنهم يريدون شيئا واحداً .

يريـدون أن يخلى لهـم الطريق .. !

يريدون أن لا يعاملوا كالأجانب .. !

يريدون أن لا تكبل أرجلهم بالسلاسل ، وأن لا توضع فى أعناقهم الأغلال !

يريدون أن لا تخاف منهم الحكومات ، ولا تراقبهم المخابرات .

إنهم يريدون أن يقاتلوا تحت راية الإسلام ، تحت راية محمد عليه الصلاة والسلام ، يقاتلوا بالوعد الالهى وشوقاً إلى الجنة ، وابتغاءً للمغفرة والرضوان ، ورضا للرحمن لا للجاه والسلطان .

هذه المجموعة الكريمة هى طاقة هذه الأمة الأصيلة ، وهى الطاقة التى لا تزال تخاف منها الصليبيون الجدد ، والقراصنة اليهود ، إنهم يفرقون من عودة

www.abulhasanalinadwi.org

هذه « الطاعة الكريمة » فى أعصاب الأمة ، بل يذعرون من اكتشافها والإشارة إليها ، والتنويه بها وإثارتها .

إن هذه الطاقة كأسد نائم اجتمعت حوله الثعالب والكلاب والذئاب ، فإذا كان فى صالح الأعداء أن لا يوقظ هذا الأسد النائم ، فهل هو فى صالحنا كذلك أن لا نوقظه ، وإذا كان من الطبيعى الجائز للعدو أن يخافه ، فهل من الطبيعى الجائز لنا أن نخافه ، ونخاف يقظته وعودته ؟

إن اليهود ومن ورائهم من الصليبيين الحقود لم يحققوا انتصاراً حقيقيا ، ولم يقوموا بشىء كبير عظيم كما أوهموا بعض الانهزاميين وضعاف الإيمان فى شرقنا العربى ، إنهم اغتنموا هذه الفرصة – فرصة نوم الأسد – كالذئاب والثعالب ، والكلاب والقردة والخنازير ، فظلوا يتقلبون فى الغابة الخالية عن ملكها النائم ، وظنوا أنهم هزموا الأسد ، وقصفوا ظهره وأدبوه تأديبا بليغا لن ينساه . .

هذا طبيعى ، وجائز ، ومعقول بالنسبة إلى الحيوانات الصغيرة التى لا تدانى الأسد ، ولا تستطيع أن تفكر – مهما قامت وقعدت وتقلبت فى أطراف الغابة الخالية ، ومهما دلفت فى الأنهار وقفزت على الأشجار – فوق هذا المستوى من التفكير ، فهل من المعقول المفهوم وهل من الجائز أن نضمّ صوتنا إلى هذه الأصوات ، ونؤمن مع هذه الحيوانات بأنها هزمت الأسد فى واقع أمر ، وعاقبته عقابا شديداً لن ينساه أبد الدهر ؟

إن اليهود لم ينتصروا على الشعب العربى المؤمن ولكنهم استغلوا فرصة نومه وسباته العميق .

إنهم رأوا أن « القوة الأصيلة » التى جرّبوها مراراً وتكراراً فى التاريخ . وجرّبوها قبل النكبة فى فلسطين ، مكبولة مغلولة ، وضعت فى قفص الاتهام ، وأقصيت عن الميدان ، وضاقت عليها الأرض بما رحبت ، وأصبحت تعامل كالأجانب والعملاء ، ورأوا المكان خالياً من هذا الطراز الرفيع ، الطراز الأول من

www.abulhasanalinadwi.org

الفتيان الذين يقاتلون للشهادة ، وعيش الآخرة والالتحاق بركب النبيين ، والصدّيقين ، والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، فاستغلوا هذه الفرصة واصطادوا فى الماء العكر ، وتظاهروا ببطولاتهم الزائغة الخارقة .

إن عنصر الإيمان ، وعنصر الجهاد فى سبيل الله ، لايزال يملك الموقف ويضمن الانتصار ، ويتكفّل الفتح إذا سمح له بالبروز فى الميدان ، والظهور على المسرح والخوض فى المعركة ، وإنه وحده طريق النصر مهما هذى المحمومون ومرضى الشذوذ العقلى والجنون ، ومهما تردد المرتابون وشكّ المذبذبون .

إن كثيراً من الشبان وراء القضبان وخارج القضبان ينتظرون أن يسمح لهم بالدخول فى هذه المعركة ، دخولهم فى المعركة معناه يقظة الأسد .

وإنه لا يستيقظ أبداً إلاّ بالسماح لعنصر الإيمان بأن يملك الزمام ويحمل راية الإسلام ويبرز بها إلى الميدان .

إنه لا يستيقظ ولا يفيق من نومه العميق بالأسلحة المستوردة ، والمناورات السياسية ، والمفاجآت الدبلوماسية ، بل يفيق بالفتيان الذين يعشقون الموت كما يعشق اليهود والمشركون الحياة .

بالفتيان الذين يتمنون الشهادة في سبيل الله ويعتبرونها أسمى أمانيهم أوأحلى أحلامهم وغاية حياتهم .

إن هذا العنصر ، هو العنصر الوحيد الذى يخاف منه اليهود والسوفيت والأمريكان .

ذلك هو الأسد اليقظ المصور الذى يخاف منه الجميع ، ويحترمه الجميع ، الأسد الذى كان يوقف له قرع الأجراس فى الكنائس ، وكان البحر المتوسط عنده كبحيرة عثمانية لا يدنو منه أجنبى ، وكانت أوربا كلها ترتعد

www.abulhasanalinadwi.org

منه فرقاً[1] .

أما هذا الأسد النائم فهو لا يستطيع أن يدفع عنه الذباب مادام نائما يغط فى نومه العميق .

إننا لا نحتاج إلى مدد خارجى وتأييد دولى وكسب الأصدقاء ، وشراء الأسلحة ، إننا فى حاجة فحسب إلى إيقاظ هذا الأسد ليملى كلمته ويعيد كرامته ، ويسترد مكانته ، وينقشع هذا الضباب الكثيف من الضعف واليأس والوهن والشبهات ، والفوضى والتحلل الذى تلبد به جو العالم العربى .

* * *

(١) إشارة إلى العثمانيين ، إقرأ للتفصيل « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » لسماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و « فلسفة التاريخ العثمانى » لمحمد جميل بيهم .

www.abulhasanalinadwi.org

هـــذا الفـــراغ !

العالم الإسلامى اليوم يعيش فى « فراغ روحى » هائل ، إنه يبحث عن أسس ومبادئ يبنى عليها صرح مجتمعه الجديد ، إنه يبحث عن عقيدة يلوذ بها ، وإيمان يستولى على مشاعره ، وفلسفة حياة تحدد أهدافه وغاياته ونشاطه الحيوى والاجتماعى فى العالم ، أما التجاؤه إلى « القومية المزعومة » تارة ، والاشتراكية والتعاونية أخرى . وغيرها من الشعارات ، والنعرات ، والهتافات واللافتات ، لا تدل إلا على حيرته وشروده وفراغه الروحى الرهيب .

إن جهوده تذهب سُدى لأنه لا يملك هدفا كريما معلوماً تجند له النفوس والأرواح ، والمواهب والطاقات، وتتفق عليها الآراء والأفكار ووجهات النظـــر .

إن هذا الفراغ فراغ عقيدة وإيمان ، وفراغ قلب وروح وفراغ عقل وتفكير ، وهو فراغ لا تملؤه الهتافات مهما علت ولا تملؤه الشعارات مهما نمقت ولا يملؤه « تعزيز الاقتصاد الوطنى » أو الاشتراكية بين المواطنين ، إنه فراغ قلب وروح فلا يملؤه إلّا القلب والروح ، إنه فراغ عقيدة وإيمان فلا يملؤه إلّا العقيدة والإيمان .

وسنجنى جناية عظيمة على العالم الإسلامى والتاريخ الإنسانى إذا حاولنا أن نملأ هذا الفراغ بالوسائل والأدوات أو أن نملأه بدراساتنا وأبحاثنا ومعاهدنا وجامعاتنا ، لأن حاجته إلى عقيدة وإيمان وهدف روحى أكثر من حاجته إلى الصناعات الخفيفة والثقيلة فيجب أن نعطيه ما يفقده بدلاً من أن نحشد له أشياء مادية أنعم بها .

والإيمان بالله العظيم ، والإيمان بكتابه الخالد بأنه هو الدستور الوحيد فى سائر العهود على السواء ، وله الحكم الأخير والقول الفصل فى تكييف مجتمعنا وأوضاعنا ، هو الشىء الغالى المفقود والضالة المنشودة للعالم الإسلامى ، وهو أكسير الحياة ، والعصا السحرية التى تستطيع أن تخلق من هذا الجماد الإنسانى

www.abulhasanalinadwi.org

قلبا يخفق ودماء تغلى ، وروحاً تسمو ، وتفكيراً ينطلق ، وأعصاباً تثور ، فإذا هو خلق آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

إن هذا الإيمان يمنح العالم الإسلامى دعامة قوية يرتكز عليها ، وركنا شديداً يأوى إليه ، ورصيداً مزخوراً وافراً لكفاحه الشاق الطويل لاستعادة مكانته تحت أديم السماء ، وهى مكانة القيادة والهداية ، والأستاذية والإشراف ، لا مكان التبعية والتقليد ، والتلقى والاستيحاء .

إن هذا الإيمان يمنح وجوده وشخصيته قوة لا يتصورها العقل ولا يحيط بها القياس ويمنحه ضخامة وامتداداً لا تقدر بالمسافات والأبعاد ، إنه يعطى نشاطه هدفاً ، ويعطى فكرته تنسيقا ، ويعطى جهاده تقديساً ، ويعطى تضحياته إخلاصا وروحاً ملتهبة ، وقلبا متوقداً ، ويعطى شخصيته « أصالة » وأهمية لا تمتلكها أرقى دولة من دول العالم وأقوى شعب من شعوب الدنيا ، هى أهمية الرائد الصادق ، والقائد المنتظر ، والمنقذ المخلص ، أهمية من ملك ماء زلالاً فى صحراء قاحلة ، أو حمل شعلة من نور فى غابة موحشة مظلمة .

هذا الإيمان ينشىء فيه الاعتزاز بالنفس ، والتشرف برسالة الإسلام ، ومعرفة قيمة الدور الذى يجب عليه أن يؤديه من غير تأخير ، الدور الذى قام به العالم الإسلامى قبل ثلاثة عشر قرناً فعاشت به الأمم ، وطابت به الحياة ، ونالت الإنسانية عمراً جديداً وحياة جديدة ، ودخلت فى دور مشرق جميل لايزال غرة على جبين التاريخ .

هذا هو الدور الذى تنتظره الإنسانية من العالم الإسلامى اليوم لأنه أثمن وأغلى شيء فى الوجود يستطيع العالم الإسلامى أن يتحف به الإنسانية فى تلك الساعات العصيبة الرهيبة .

ولكنه لا يقوى على ذلك إلاّ بعد أن يملأ هذا الفراغ بالإيمان الراسخ ، والعقيدة الصافية ، والتربية الخلقية المبنية على تلك العقائد والإيمان ، إن هذا الإيمان سيحوّل أبناء هذه الأمة من قطعان بشرية مبثوثة هنا وهناك ، إلى كتائب

www.abulhasanalinadwi.org

إلهية للإنقاذ ، ويملؤهم بروح متدفقة جياشة تؤهلهم لهذه المهمة العظيمة ، والدعوة الكريمة الجليلة ، والهدف المقدس النبيل ، إن هذا الإيمان يقضى عليه خلافاتهم البسيطة التافهة ، ويجعلهم يداً واحدة على من سواهم ، وككتلة محترمة تخشى وترجى .

هذا الإيمان المفقود المقتبس من إيمان الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان كفيل بإنشاء الوحدة النظرية والسياسية والعاطفية بين مختلف أجزاء العالم الإسلامى ، إنه كفيل بملء ذلك الفراغ الروحى ، وتزويده برصيد فكرى روحى عظيم ، يشحنه فى كل حين بما يحتاج إليه من ثقافة وتربية ، ودعوة وتوجيه ، وجهاد وكفاح ونضال وتضحية .

فلنملأ هذا الفراغ بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام والانضواء تحت رايته ، والإيمان الجديد بهذا الدين ، لا كدين ضيق محدود لا يتدخل فى شئون المجتمع ، ومسالك الحياة ، بل كدين شامل واسع ، كدين حىّ منتج مثمر يفتق القرائح ، وينمى الملكات ، ويصقل المواهب ، ويفجر الطاقات ، على بعث « عالم إسلامى جديد » يفكر بعقله ، وينظر بعينيه ، ويستوحى فى مشكلاته وأزماته عن عقيدته وإيمانه ، ويعتبر نفسه مسئولا عن فساد العالم وصلاحه ، وهدايته وضلاله .

لقد ضعف فى العالم الإسلامى اليوم ذلك الإيمان الذى كان سرّ قوته فى كل زمان ومكان ، وأراد أن يعوّض لهذا الفراغ بأفكار وفلسفات سخيفة لا دعوة لها فى الدنيا والآخرة ، ومبادىء ومثل مستوردة لا تنطبق على جسده ولا تلائم أوضاعه وحاجته ، ولا تتفق مع أهدافه وطبيعته ، وتخطيط صناعى لا روح فيه ولا حياة ، ولا فكرة فيه ولا مبدأ ، وتربية وتعليم هدفه اخراج فوج من المعلمين يملأون الوظائف الشاغرة ويحترفون فنّ التعليم بل إنشاء جيل مؤمن قوى ، وتخريج دعاة أكفاء ، ومعلمين مرشدين ، ينشئون الوعى الدينى

www.abulhasanalinadwi.org

والسياسى فى الأمة ، ويقضون على التبلبل الفكرى فى البلاد ، ويشرحون للناس ضرورة ملء هذا الفراغ بالعودة إلى الإيمان من جديد . ويكشفون لهم الستار عن تلك الحقيقة التاريخية الخالدة والواقع التاريخى عبر القرون والأجيال .

﴿ وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ !!

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

العـــالم العـــربى

العالم العربى – فى هذا الوقت ، يتسم بعدة سمات بارزة متميزة :

١ – إنّه مقبل – بوضوح وفى إضرار – على قبول تيارات جديدة فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد ، ولو كان ذلك على حساب بعض مقوماته الفكرية ومعتقداته الدينية .

٢ – إنّه حريص على الظهور بشخصيته المستقلة القوية بين شعوب العالم وهو مستعد لكل تضحية لهذا الغرض .

٣ – إنه حائر بين شعوبه المؤمنة البريئة التى تستميت من أجل الدين ، وتستحلى فى سبيله كل نوع من العذاب ، وكل لون من الاضطهاد ، وتتمنّى أن ترى راية الإسلام مرفرفة عالية فى أرجاء العالم العربى كله ، وترى كل ماعدا ذلك نوعا من جاهلية قديمة ظهر فى زى عصرى جديد ، وبين طبقة مثقفة ذكية ، حاكمة مسيطرة تعارض ذلك الاتجاه كل المعارضة ، وتسميه « رجعيـة » بكل صفاقة وتحاربه بلا رحمة وهوادة .

أما مجال هذه الحرب الطاحنة فهو بيت كل مسلم عربى ، وأما هدف هذا الهجوم الأكبر فهو « الشباب » الذين سيتولون زمام الحكم غداً فى هذه البلاد .

إن هذا الصراع الفكرى أو الشرود الفكرى له جذور عميقة فى الماضى والحاضر ، وهو نتيجة إهمال تلك الظروف المتغيرة والأوضاع المتطورة التى كانت تنذر بهذا الصراع الهائل الطويل منذ زمن بعيد . فحينما كان ذلك الاتجاه – الاتجاه القوى المادى – يجد من ورائه كل تشجيع وتأييد ، وكان من ورائه شخصيات قوية ، وعقول خصبة ، تحسن عرض هذا الاتجاه والدعاية لها بنجاح على مسرح السياسة العربية ، كانت الشعوب العربية المؤمنة الصالحة لا تجد غذاءً دسماً من أى مكان ، ولا تجد معونة وتشجيعا – من الملوك

www.abulhasanalinadwi.org

والحكام الذين كانوا ينادون بالإسلام يقوى هذا الاتجاه المضاد ، ويعدّ رأيها العام ، ووعيها الإسلامي لمقاومة الاتجاه الأوّل ، أما الشباب (وهم مركز أعصاب البلاد) فكانوا أسوأ حالاً من الجماهير فقد وقعوا فريسة سهلة لهذا الاتجاه القومي والعلماني العنيف ، ودرسوا من الكتب والمواد ما يقوى فيهم ذلك الاتجاه المادى اللادينى الذى يريد أن ينهض بالأمة العربية على أساس غير أساس الإسلام ، ويقطع صلته بالتراث الإسلامى ، ورسالته العامة الخالدة ، هؤلاء الحكام والزعماء عاشوا فى مناخ فكرى لا يصلح – مطلقا – لغير هذا الاتجاه ، هذه من ناحية ، ومن ناحية أخرى إنهم لم – يحفلوا كثيراً بهذه التطورات السياسية والاجتماعية التى وقعت فى بعض البلاد العربية وردّد صداها العالم العربى كله ، ولم يقوموا بأى تغيير أساسى فى مناهج التعليم بوجه خاص ومناهج الحياة كلها بوجه عام ، ولم يفهموا نفسية الشباب ونفسية العصر الحديث ، ولم يفطنوا إلى مواضع الضعف فى جبهتهم حتى استغلها العدو للنيل منهم ، والتسلل إلى حوزتهم ، والهجوم على معاقلهم ، إنهم لم يدركوا تأثير كلمة « التقدم الصناعى » والقوة الحربية ، و « التنظيم العلمى » فى أعصاب الشباب ولم يحسبوا لها أىّ حساب .

إن الولاة والأمراء والملوك والرؤساء فى البلاد العربية وقفوا فجأة ، ومن غير استعداد سابق أمام موقف محرج دقيق ، يتطلب حزماً غير عادى ، وجرأة نادرة ، واتزاناً كاملاً ، ووعياً كبيراً ، إن هذا الموقف يتطلب منهم أن يفتحوا عيونهم للواقع الشاخص الحىّ ، الواقع القاسى المؤلم الذى يترقب ردّ فعلهم ، ويترقب كلمتهم الحاسمة فى هذا الوقت التاريخى العصيب .

إنه موقف عصبي محرج من غير شك ، والحلّ الوحيد لهذه المشكلة هو إعادة تنظيم البلاد ثقافياً وفكريّاً قبل كل شىء ، وتربية الشباب على معان جديدة ، ومقومات جديدة لا تمت إلى القومية العربية المتطرّفة . والاشتراكية العربيّة الماديّة بصلة ، والاهتمام بالتقدم الصناعى والقوة الحربية ، والتنظيم العلمى على أحدث الأساليب العلمية وبروح الاسلام الكبيرة ، ونظره البعيد ،

www.abulhasanalinadwi.org

وإيمانه القوى العميق ، والرجوع إلى حياة التقشف أو البساطة فى المعيشة ، وتقديم غذاء فكرى وروحى جديد لجيلنا الناهض يملأ فراغه ، ويهدىء أواره ، وهو ليس عمل يوم واحد ، أو شهر واحد ، أو سنة واحدة ، إنها عملية انتقال من تفكير إلى تفكير ، ومن دعوة إلى دعوة ، ومن اتجاه إلى اتجاه ، من اتجاه مادى علمانى ، إلى اتجاه اسلامى واع صحيح ، وهو يقتضى – بطبيعة الحال – رصيداً موفوراً من الإيمان والصبر ، والاحتمال والثبات ، وإثارة هذا الشعور والوعى فى الشباب بسرعة وحزم وتصميم .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

التفسير المادى للخواء الروحى !

﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴾

الغرب فى قلق ، وهذا طبيعى بحكم الواقع والتاريخ وفطرة الإنسان ، ولكنه « قلق غريب » لا يهديه إلى الحق والنور ، ولا يخز ضميره ولا يقض مضجعه ، ولا يكشف غطاء بصره ، ولا يزيل غشاوة قلبه !

فما هو السر فى ذلك !

السر هو التفسير المادى للأشياء الذى أصبح طبيعة الغرب ، وشعاره منذ زمن طويل ! إنه لا يعرف شيئا يسمى « القلق الروحى » فإذا وجد ، فهو – عنده – قلق مادى مبنى على أسباب وعوامل مادية بحتة تحتاج إلى دراسة أكثر للأوضاع وقوة أكبر للمقاومة وعلم أوفر للقضاء عليه ، الرجل الغربى يعلل قلقه النفسى الشديد وفراغه الروحى الهائل بأسباب تافهة جداً ، ثم يشتغل بكل قوة للتغلب على هذه الأسباب وذلك بأشياء لا صلة لها بهذا الفراغ مطلقاً ، ومثله فى ذلك كمثل عاشق أراد أن ينسى همومه وآلامه النفسية بشرب الخمر ثم يتعود عليها أخيراً ويرى أن علاجه الخمر فحسب ، وكلما يلعب به الحب القديم ، المتأصل فى صدره وسويداء قلبه ، يعود إلى الخمر ويعتقد أن سببه أنه لم يشرب منذ زمن .

فهل كان سبب هذا القلق هو تأخره فى الشرب !؟

أو مثله كمثل رضيع يبكى جوعاً فتضع أمه فى فمه علالة فيهدأ ويظن أنه يشرب لبناً وهو منه بعيد .

إن كل فرد من الغرب اليوم قلق ، ويشعر بخواء فى كيانه وفراغ فى حياته ، ولكنه لا يعلله بفراغ روحى له أسباب روحية بحتة ، كما أنه لا يعترف

www.abulhasanalinadwi.org

بجهله وحيرته عن منشأ هذا القلق ومصدره ، ولا يعطى قلبه وعقله فرصة للتفكير ، بل يعلله تعليلا ماديا بدون روية وتفكير ، ويعلله أكثر الأحيان بأسباب طبية صحية عصبية أو أسباب نفسية مبنية على المادة ، وهذا هو السبب فى كثرة استعمال الأقراص المخدرة عند الأرق ، وكثرة حوادث الانتحار .

وهى ثلاث مراحـــل بصورة عامة :

المرحلة الأولى : هى المرحلة التى أطارت النوم عن عيون الشعب الغربى ، فمن أغنى الممثلات والممثلين إلى كبار رجال الأعمال والاداريين شىء لا يعبر به إلا أنه سهر تولد عن تزاحم الأشغال ، ولا يعالج إلاّ باقراص تخدر الأعصاب وتمنح الانسان فرصة يتناسى فيها هذا الشىء ليصلح باستئناف نشاطه غداً .

وهنا نقطتان هامتان تستحقان التأمل والوقوف .

أولاً : إنّ هذا السهر لم يتولد عن « تزاحم الأشغال المجردة » فقط بل إنه تولد عن « الأشغال المادية » وأن هذا السهر ليس إلا احتجاجاً صامتاً للقلب الذى لم ينل وجبة روحية ، أو غذاءً روحياً طوال هذه الساعات من ساعات الليل والنهار .

ثانيا : إذا كان سببه تزاحم الأشغال فكان اللازم أن نقوم بالتخفيف فى أشغالنا بدلا من أن نسلى نفوسنا ونخدعها بتخدير الأعصاب وتكميم القلب حتى لا يسبب أرقنا فى حين يحتاج فيه الإنسان إلى الراحة والهدوء ، إنه عداء وليس دواء .

ولو خفف الانسان الغربى فى« دورانه »قليلاً لوجد فرصة التفكير الهادىء السليم !

هذه الظاهرة ظاهرة عامة ، وحقيقة ملموسة فى المجتمع الغربى فى كل مكان ، خاصة فى أمريكا التى تعتبر فى قمة البلاد الغنية المتقدمة مادياً ، وهى تنقص وتزداد فى البلاد الأوربية أيضا بحساب الانهماك فى الحياة المادية .

www.abulhasanalinadwi.org

المرحلة الثانية : هى الخطوة الطبيعية التالية للحالة الأولى ، وحين يشتد هذا الأمر بالإنسان وتخفق هذه الوسائل المادية الظاهرة فى التخفيف عن حدة التوتر العصبى ويجرب حظه فى كل مكان ولا يرجع إلاّ خائبا ويظن أنه أصيب بفتور فى الصحة فيقبل على الطبيب ويستعين بالعلم والوسائل ولكنها لا تجدى نفعاً ، فيقوم بحركات شاذة فيقال إنه مجنون ردّوه إلى مستشفى الأمراض العقلية ، فمنهم من توسوس له نفسه أنه مصاب بهذا الفتور أو القلق أو المرض بسبب مادى فيزيل هذا السبب بمشورة الطبيب فيعود إلى صوابه ، والسبب الحقيقى موجود لم يقض عليه ، وأكثرهم يبقى فى هذه الحيرة والشرود والجنون مدى الحياة .

المرحلة الأخيرة : مرحلة الانتحار وذلك حين لا يحتمل هذا الأرق والقلق ويعيل الصبر ويطفح الكأس .

فما هذه الظواهر ؟ إذا كنا أكثر صراحة وأكثر دقة وايجازاً قلنا : إن القلب الإنسانى زاخر بالمطامح ومشاعر الحب والرحمة ، فإذا لم يجد منفذاً واسعاً ، وطريقا صالحاً ، ومحلا لائقا نشأت فيه عقد نفسية لا تحل بالعلم والطب والوسائل المادية مهما كان نوعها وكميتها ، واتجه إلى أشياء لا تشفى ظمأه الروحى ولا تستجيب لأشواقه الروحية فيظل فى قلق دائم لا يقرّ له قرار . وهنالك يحدث تناقض عجيب فى سلوكه ومعاملاته ، وأخلاقياته ، وشذوذ فى تصرفاته .

الانسان طموح وبعيد النظر وهذا الكون المادى لا يكفى لمطامحه ورغباته ، ولا يسع لطيرانه ، ومحبّ يريد أن يخضع ويحن ويتفانى فى غيره فاذا لم يجد ما يحقق أمنيته وأشواقه ومطالبه وحاجاته ، وضع نفسه فى خدمة ماوضعه الله فى خدمته ، وعلل هذا الفراغ بنقصان فى استعداده المادى والوسائل المادية ، وكلما تضخم هذا الفراغ عكف على الإنتاج المادى وانهمك فيه وغرق فيه إلى آذانه ، إنها – إذاً – حلقة مفرغة لا يدرى أولها من آخرها . هذا الشعور بالفراغ يوجهه إلى مزيد من الانتاج ومزيد من توفير

www.abulhasanalinadwi.org

الوسائل المادية وتلك الوسائل والأسباب ، أسباب الراحة والرخاء تحدث فيه شعوراً غريباً كأنه فقد شيئا ثمينا لا يعرفه ولكنه يرده دائما إلى قلة الوسائل ، إن الرجل الغربى يشعر الآن بأنه جمع كل ما يمكن للإنسان الحديث من أسباب الراحة والترف والنعيم ولكنه لم يصل بها إلى سعادة حقيقية ، ولم يتذوق طعمها فى يوم من الأيام ، وأنه لا يملك تلك الطمأنينة والهدوء الذى يملكه رجل عرف هدفه وعرف طريقه فاطمأن إليه وسعى له بكل ما أوتى من قوة ومواهب وملكات ، وكلما تقدم فى طريقه ازداد إيمانا وثقة واستقراراً .

إننا وأهل الغرب فى الركوب على القطار سواء .. ولكن بيننا وبينهم فرق عظيم فاننا واثقون ، والحمد لله على ذلك حمداً كثيراً – بصحة الاتجاه ، وسلامة الوصول ، مرتاحون ، مطمئنون ، آمنون لأننا صائرون إن شاء الله إلى هدفنا المنشود ، وكل ثانية ودقيقة تمر بنا تقربنا إلى الهدف وتملأ جوانحنا بالرضى ، رغم أننا ركاب الدرجة الثالثة وعرباتنا غير مؤثثة كل التأثيث ، ومقاعدنا غير مريحة إلى الدرجة الأولى ، أما أهل الغرب فإنهم قلقون ، خائفون – بطبيعة الحال – لأنهم غير واثقين بصحة الاتجاه ، وسلامة الوصول ، وكل ثانية ودقيقة تمرّ بهم تقربهم إلى هدف مجهول ، أو إلى لا شيء إلى فراغ رهيب هائل رغم أنهم ركاب الدرجة الأولى ، وعرباتهم فاخرة مفروشة مؤثثة لا يحتاجون فيها إلا إلى مس زرّ أو مدّ بصر ، فيتهيأ لهم كل شيء ، ويتحقق لهم كل حلم .. أما هذا الألم القاتل فإنه جعلهم يتقلبون على فرشهم وبطانتهم وكأنهم يتقلبون على الجمر ، عيونهم لا تكتحل بنوم وأعصابهم لا تعرف هدوءًا .

إنها حالة تنذر بالخطر وتبعث على اليأس ، وهى مشكلة لا تحل بالعلم والدراسة والبحث ، بل بالروحية الصافية القوية ، والقلب المشرق ، العامر بالحب والإيمان والحنان ، واليقين والثقة ، والصلة بالله تعالى ، والإشفاق على مصير الإنسانية ، فإذا وجد الغرب شخصيات تحمل هذه الصفات وتستطيع أن تنشر الحرارة والنور بقوة إيمانها وحرارة فؤادها وجدت سبيلها فى هذه القلوب

www.abulhasanalinadwi.org

الجامدة كالصخر ، وفعلت ما لم يفعله الكتاب والمؤلفون فى أجيال وقرون .

أنا لا أنكر قيمة العلم ودوره فى خدمة الإسلام فى هذا العصر ولكن مجرد العلم لا يكفى فإن الانسان اليوم أتخم بالعلم وهو يبحث عن شيء آخر يهديه إلى النور ، وإن صحّ قول بعض الصوفية بأن العلم هو الحجاب الأكبر فإنه ينطبق إليهم على الغرب أكثر من أىّ بلد آخر ، فلنرفع هذا الحجاب بالإيمان العميق ، بالقلب الصافى المشرق بالروحانية الشفافة الغامرة ، بالجمع الموفق بين العقل والقلب ، والجسم والروح ، والغاية والوسيلة ، والعرض والجوهر .

وقد أشار إلى هذه الحقيقة العظيمة الامام ابن تيمية فى كتابه « العبودية » فقال : (إن القلب فقير إلى الله من وجهين ، من جهة العبادة ، وهى العلة الغائية ومن جهة الاستعانة والتوكل ، وهى العلة الفاعلة ، فالقلب لا يصلح ولا يفلح ، ولا ينعم ، ولا يسّر ولا يلتذ ، ولا يطيب ولا يسكن ، ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه ، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولا يسكن إذ فيه فقر ذاتى إلى ربه من حيث هو معبوده ومحبوبه ، ومطلوبه)[1] .

إن هذه الروحانية أشرف علم عرفته الإنسانيةأنه علم النبوة الخالد ،إنه نور السماء إلى البشر ، وهو وحده يستطيع أن يهدى الغرب الغارق فى المادة المتخبط فى الظلام .

فهل هنا من يحمله ويمثله فى هذه البلاد الشقية المظلمة ؟؟

* * *

(١) رسالة العبودية ص ١٠٨ (نشر المكتب الاسلامى – بيروت) .

www.abulhasanalinadwi.org

أبرّ الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلّفـاً

الإنسان يملك خصائص وأوصافا متباينة وعواطف ونزعات مختلفة ، منها ماهى مادية ومنها ماهى روحية ، إنه يتكون من عقل وقلب ، وجسم وروح ، ولابدّ لنا أن نحافظ على هذا التوافق والانسجام بينهما ، ولا نتحكم فيهما بالهوى .

إن التاريخ الإنسانى الطويل العريض الغارق فى غياهب الماضى هو تفسير هذا الطغيان وعدم الاتزان ، وقوميات العصر الحديث المتطرفة كلها – فى الواقع – حكايات وصور من هذا الخطأ التاريخى القديم الذى وقع فيه الانسان منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا .

وإذا استعرضنا التاريخ العالمى ، بنزاهة مؤرخ محايد – رأينا أنه يتميز بدور تفرّد بين الأدوار التاريخية كلّها بالجمع بين المادة والروح ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة ، هو دور الصحابة والتابعين ومن تبعهم ، واقتدى بآثارهم ، وحذا حذوهم على مرّ الزمن ، إنه دور فريد – حسب ما سجّل التاريخ – تجلى فيه هذا الاتزان والاتساق والانسجام بين نزعات الانسان واضحاً مكشوفا لا غموض فيه ولا إبهام ، ولا خفاء فيه ولا كتمان ، وذلك ما عبرّ عنه الحديث الشريف ، وهو يصوّر نفسية أصحاب رسول الله ﷺ وحياتهم تصويراً دقيقاً واضحاً كل الوضوح « **أبرّ الناس قلوباً وأعمقهم علما وأقلهم تكلفا** »[1] .

هذا هو الشعار النبوى من هذه النواحى لا تغنى شيئا عن الناحية

---

(١) حديث موقوف على عبدالله بن مسعود رضى الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

الأخرى ، فوجود العلم الغزير ، والمكتبات العامرة ، والتعليم الفاشي لا يعني أن قلب الإنسان أيضا نال هذا النور ، وهذا العلم ، واتصل بالقوة الأزلية ، وهو الآن ليس بحاجة إلى غذاء وماء ونور ، كما أن صفاء القلب ، وقوته واشراقه ، لا يعني أن الانسان ليس في حاجة إلى تثقيف عقله ، وزيادة علمه ، ووفرة معلوماته .

ولكنها أتت على الإنسان أزمات طغت فيها قواه المعنوية على قواه العقلية وقواه المادية فهجر المدنية والعمران ، ولاذ بالكهوف والجبال والغابات ، وأصبح في حاجة إلى من يعيده إلى الصواب ، ويهديه إلى الصراط المستقيم ، كما مرت عليه عصور – ولعلها تغشى أكبر جزء من التاريخ – طغت فيها المادة على الروح وتغلبت فيها القوة الجسمية على القوة المعنوية ، وغرق الإنسان في بحر لجي من المادة ولم يبق أمل في انتعاشها ، هنالك ظهرت المشيئة الإلهية فإما أرجعته إلى الخير ، والحق ، والصواب ، وإما أخذته أخذ عزيز مقتدر ، وجعلته حديثا يذكر ، وقصة تروى ، وعبرة ونكالاً لما بين يديها وماخلفها وموعظة للمتقين .

أما هذا العصر الذي نعيش فيه فإنه عصر الأضداد والتناقضات إنه يسعد بوفرة العلم وأدواته ، ولكنه يشقى بضعف القوة المعنوية ، وعدم الاتزان بين القوة والأخلاق ، والوسائل والغايات ، والقلب والعقل ، حياته معقدة ، ومشكلاته متطرفة ، وافكاره متناقضة ، وتصرفاته خرقاء ، لا روحه على قرار ولا نفسه على استقرار بل إنه دوران ممل متعب ، دوران الآلة الصماء ، والماكينة العمياء .

هذه المادية الطاغية هجمت – بالطبع – على الشرق الإسلامي وهي مزودة بأسلحة فتاكة براقة من العلم الغزير ، والثقافة الواسعة ، والصناعة المدهشة ، فأسرت عقول الأذكياء والعامة واستعمرت أفكارهم ، وغزت أرواحهم . وتملكت مشاعرهم ، ولم تلبث حتى صبغتها بصبغتها وأشغلهم عن

www.abulhasanalinadwi.org

النظر إلى الخسارة الهائلة التى رضوا بها ، وهم لا يعلمون كم جنوا على أنفسهم وعلى الإنسانية بقبول هذه الخسارة المعنوية الهائلة التى لا تعوض بأكبر دولة من دول العالم وبأكبر ثروة من ثروات الأرض ، لأنها خسارة الإنسانية كلها ، ورجوع بها إلى مستوى أسفل ، لا تتحكم فيه إلا الأهواء والشهوات والنعرات الجاهلية ، والأفكار الهدامة .

إن حاجة الشرق الاسلامى اليوم خاصة والعالم الانسانى عامة ماسة ملحة إلى إشراق الروح وصفاء القلب أكثر من حاجته إلى التعليم والتربية ، والعلوم والفنون والثقافات والآداب .

إنه فى حاجة إلى تبديد هذا الظلام الذى أحاط به وخيّم عليه – ظلام المادة والشهوات ، والحياة الصناعية – إن هذا الظلام ألقى الستار على معنوياته وأشواقه الروحية ، وجعله يعانى من كبت روحى شديد وآلام روحية قاسية .

ألا . فليعلم الشرق الإسلامى – بما فيه من عقول معبرة وساسة حكماء ومفكرين وذوى البصيرة والرأى – أنه إذا نهض من كبوته وصحا من غفوته وأخذ بأسباب التصنيع ليلحق بالركب الراكض ولم يلق بالاً إلى إشراقه الروحى ، ونهضته المعنوية لن تكون مكانته إلا فى ذيل القافلة ومؤخر الركب ، وتانى نهضته غير سليمة وغير متزنة شأن نهضة الغرب ، ولن يفتح للإنسانية ذلك الباب الجديد المنتظر الذى فتحه محمد ﷺ قبل ثلاثة عشر قرناً ، فكان رحمة للإنسانية ورفقا بالبشرية ، وصبحاً صادقاً فى ظلمات الجاهلية أخرج الناس من عبادة الإنسان إلى عبادة الله ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .

إن صبح هذا العالم يتوقف على إشراق روحى صحيح ، يبدأ فى الشرق المسلم ثم تعلو تباشيره وتمتد أشعته وأنواره لتحيط بالكون كلّه ، وذلك لن يكون بالأمانى والأحلام ، إنه يتطلب منا أن نغير مفاهيمنا ومقاييسنا عن الحياة ، وندرس التاريخ والأوضاع العالمية الراهنة من ناحية جديدة أصيلة ، وندرس

www.abulhasanalinadwi.org

عهد الصحابة والتابعين دراسة مستفيضة ودراسة عميقة ، ونفقه الحياة الإسلامية فقهاً جيداً ونعلم أن الإشراق الروحى يضفى على جميع أعمالنا وتصرفاتنا مسحة من الرضا والطهر والقداسة والسمو ، وينفخ فيها الحياة بعد أن كانت خامدة وينوّرها بعد أن كانت مظلمة ، إنه يوصلنا بقوة الأزل والأبد لنستقى منها الحرارة ، والثقة والقوة ، ونحارب بها القوى الباطلة ، والأفكار الزائفة ، والفلسفات الهدّامة .

إن هذا الإشراق الروحى والاتزان المطلوب بين نزعاتنا وأشواقنا يجعلنا أكثر جذبا للشعوب التى حرمت هذا الاشراق ، وهذا الاتزان ، ويجعل دعوتنا أكثر قبولاً للناس الذين ملوا الحياة المادية وسئموا منها ، وعاشوا فى فراغ طويل مخيف لا يملؤه العلم ولا تملؤه المكتبات ولا الفنون والآداب والثقافات لأنه فراغ روحى لا تملؤه إلاّ القوة الروحية وفراغ عام لا تملؤه إلاّ الفكرة الشاملة المحيطة بالإنسانية بمختلف .أدوارها وطبقاتها ، والكون بمختلف بقاعه وأصقاعه .

والحديث الذى سبق ذكره هو المنارة العالية الشاهقة فى ظلمات هذا الكون الحائر الشارد لكل من يريد الاهتداء بها والالتجاء إليها .

تصور مدى الارتقاء الإنسانى وبلوغه إلى أعلى قمة من المعانى الانسانية الكريمة والسلوك المثالى ، قلب سليم طاهر ، برىء لا دنس فيه ولا رجس ، ولا حقد ولا بغضاء ، ولا أنانية ولا استعلاء ، عامر بالحبّ والإيمان والطهر والرضا والسماحة ، لا تجد السيئات إليه سبيلاً .

وعلم عميق ، وإن قلّ فى الظاهر ، ولكنه علم ينفع ، والعبرة بالمخبر لا بالمظهر وبالعاقبة لا بالمقدمة ، لأن رسول الله ﷺ عاذ بالله من ثلاثة فقال

www.abulhasanalinadwi.org

عليه الصلاة والسلام « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع ودعاء لا يسمع »[1]

وحياة بسيطة لا تكلف فيها ولا تنميق ، ولا نفاق فيها ولا رياء ، حياة طبيعية صادقة لم تفقد أصالتها وجمالها الحقيقى وجمالها البرىء ، وعيشة كعيشة بنى آدم والأخوة فى الله ، لا عيشة الوحوش والسباع والطيور والأسماك .

ومع ذلك فالأبواب مفتوحة للإنسان للتفكير فى آيات الله والعمل والتصنيع والانتفاع بمواهب الطبيعة وذخائرها وقواها والأخذ بأسباب العلم الذى ينفعه فى دنياه وآخرته ، ولا يلهيه عن هدفه وغايته ، إنه مأمور – لا مخيّر – بأن يأخذ بأسباب القوة بحكم الهدى السماوى وشريعة السماء ، لأنها سنة الله فى الأرض .

إنّها ثلاثة جوانب مشرقة للإنسان المثالى ، الإنسان الكامل نقدمها إلى العالم « المتحضر » المعاصر الذى فقد اتزانه ، وظلّ يتأرجح بين الشرّ والخير ، والنجاة والهلاك ، وكاد يقع فى الهاوية بجميع فلسفاته وآدابه وصناعاته واختراعاته .

* * *

(١) رواه أحمد والحاكم وغيرهما

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم الكتاب بقلم أبي الحسن على الحسنى الندوى	٥
الدعوة مشكلاتها وأساليبها	١١
إلى ملك مسلم كبير	١٥
من مرحلة الحرب إلى مرحلة البناء	٢٠
جيلنا الجديد فى حاجة ماسة إلى إيمان جديد	٢٤
فقه وإيمان	٢٨
من أساليب الحكم والسياسة إلى أساليب الدعوة والهداية	٣٢
الآخرة واقع لا مفر منه . لا ضرورة اجتماعية ومصلحة عمرانية	٤٠
الإسلام نظام متكامل	٤٧
حاجتك الأولى هل تعرفها	٥١
دور العاطفة والحب فى التربية والتوجيه	٥٥
من ساحة الملعب إلى ساحة الحرب	٥٨
الغرب المتكبر والشرق المتنكر	٦٣
من الصورة والخريطة إلى المعنى والحقيقة	٧٢
منهج دائم للأمة	٧٧
أخوة فى الدم ، أخوة فى الوطن ، أخوة فى الله	٨١
أقصر طريق إلى أسرع انقلاب	٨٦
مشكلة كبرى وحل أكبر	٩١
صراع الرفض والقبول	٩٦
دعوا الأسد يستيقظ	١٠٣
هذا الفراغ	١٠٧
العالم العربى	١١١
التفسير المادى للخواء الروحى	١١٤
أبر الناس قلوبا وأعمقهم علما وأقلهم تكلفا	١١٩

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org